جامعة زيان عاشور الجلفة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ و علم الآثار

مواقف الطرق الصوفية من التوسع الاستعماري في الهضاب العليا الوسطى و مشارف الصحراء (الجلفة – الأغواط)أنموذجا 1844-1875

مذكرة مقدَّمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية

إعداد الطالبتين :

- هاجر رحمون
- خديجة حنان قرقيط

تحت إشراف الدكتور

د. نايبي سنوسي

الموسم الجامعي :1445-1446هـ /2024/2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

نتقدم بجزيل الشكر للمشرف الذي تابع العمل من بدايته الى نهايته

والذي أحاطنا بتوجيهاته العلمية كما ساعدنا على تخطي عقبات

البحث .

كما لا انسى الدكتور المشرف الذي لم يبخل علينا من علمه الوافر

الدكتور المشرف نايبي سنوسي

و كل أساتذة قسم التاريخ

إهداء

إلى من كلل العرق جبينه ومن علمني أن النجاح لا يأتي إلا بالصبر والإصرار ،إلى النور الذي أنار دربي وسراج الذي لاينطفي نوره بقلبي أبدا واستمديت منه قوتي والدي العزيز):علي .(إلى من جعل الجنة تحت أقدامها ، وسهلت لي شدائد بدعائها، إلى الإنسانة العظيمة التي لطالما تمنت أن تقر عينها لرؤيتي في يوم كهذا، أمي العزيزة):سعاد علوط .(إلى ضلعي الثابت وأماني، إلى ماشددت عظدي بهم فكانوا ينابيع أرتوي، منها إلى خيرة أيامي وصفوتها، قرة عيني أخوتي : أحمد، طارق، أسامة . الى من كانو عونا لي ،وسندا في هذا الطريق الاصدقاء الأوفياء ،أمال هواري، وعائشة علوط ..إليكم عائلتي (رحموني).أهديكم هذا الانجاز وثمرة نجاح التي لاطالما تمنيته، هاأنا اليوم أكملت وأتممت أول ثماراته فضله سبحانه وتعالى، فالحمد الله شكرا وحبا وإمتنانا على البدء والختام و الحمد الله رب العالمين.

هاجر

إهداء

يسعدني وانا اضع اللمسات الاخيرة، في هذا العمل ان اتقدم بأهداء الى اغلى واعز ما يملك الانسان في الحياة والديا الغاليين . الى تاج راسي من علمني حب المثابرة والصبر، الى من كان حريصا على دراستي والدي الغالي :(لخظر) حفظه الله ورعاه .

إلى التي أنارت دربي وفرحت لفرحي والتي لم تبخل عليا عليا بالحنان والمحبة التي من تحت قدميها الجنة أمي الغالية (عجيلة فصيح) الى اخواتي ادامكم الله لي عونا وسندا في الحياة الى كل عائلة ڤرڤيط الى جميع زميلاتي.إلى صديقتي (خلفاوي زينب) والى كل من حملهم قلبي ولم تحملهم ورقتي اهدي هذا العمل المتواضع.

خديجة

قائمة المختصرات

الاختصارات	الكلمة الكاملة
تر	الترجمة
د.س	دون سنة
د.ن	دون دار نشر
ص	الصفحة
مج	المجلد
ط	الطبعة
م	الميلادي

مقدمة

مقدمة

شهد العالم موجة من التغيرات خاصة مع بداية القرن التاسع عشر جملة من التغيرات ، وهذا ما دفع بالاستعمار الفرنسي إلى تغيير سياسته اتجاه مستعمراته والتي منها الجزائر ، هذه الأخيرة التي عمل على امتصاص قوتها بتحطيم وضرب مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية، وبالتأكيد عند الحديث عن الجانب الثقافي، فلابد لنا أن نسجل ذلك الانخراط الروحي للزوايا والطرق الصوفية، هذه الأخيرة التي تعتبر مؤسسة كانت قائمة بحد ذاتها بعد أن تطور وتبلور التصوف عبر مراحل تاريخية كبرى، حتى انتهى إلى نظام في شكل طرق صوفية، هذه الأخيرة التي تعتبر من الظواهر الجديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان والتي حضيت بالتفاته كبيرة من قبل المدارس الاستعمارية بغية اكتشاف محتواها التركيبي والعقائدي

أهمية الموضوع:

لكل دراسة أهميتها التي تدفع الباحث للغوص وللبحث فيها، ومحاولة التوصل إلى الحقائق التي تجيب عن تساؤلاته، وتكمن أهمية دراستنا في أنها:

تغير من الاعتقاد السائد لدى البعض في مواجهة فكر الزاوية التقليدي، والحط من شانه باعتباره حالة ثقافية بدائية لا تحمل برأيهم أي جديد يذكر، إنما تحاول دوما تلميع القديم بثوبه الاجتماعي، تساعد كذلك في التعرف على مجهودات رجال الطرق الصوفية والزوايا، خاصة خلال التاسع عشر، بحيث يعمل هذا البحث على تقديم صورة من تلك الإعمال.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك جملة من الأسباب دفعتنا إلى تناول هذا الموضوع ذاتية وأخرى موضوعية، نذكر منها ما يلي :

قلة البحوث والدراسات التي اهتمت بدراسة دور الزوايا والطرق الصوفية خلال القرن التاسع عشر الرغبة الشديدة في معرفة أهم الطرق الصوفية المنتشرة عبر القطر الجزائري خلال الفترة المدروسة.

الرغبة في فهم وتفسير آليات التصوف والتركيبة العقائدية للزوايا والطرق الصوفية في المجتمع الجزائري.

كما يعتبر موضوع الزوايا والطرق الصوفية من المواضيع الشيقة التي تدفع الدارس للبحث والغوص فيها **أهداف الدراسة:**

تهدف دراستنا إلى التعرف على إحدى الظواهر الاجتماعية المتواجدة بالقطر الجزائري، ألا وهي الزوايا والطرق الصوفية، والكشف عن بعض جوانبها باعتبارها جزءا من ثقافة المجتمع الجزائري ، كذلك التعرف على التنظيمات الدينية الطرق الصوفية من حيث نشأتها وانتشارها واهم الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كل ذلك يدخل في التعرف على احد أهم المؤسسات التي لعبت دورا كبيرا في تماسك المجتمع الجزائري، من جهة والدفاع عن وحدة الأرض من جهة أخرى.

حدود البحث:

لقد حصرت فترة بحثنا خلال القرن التاسع عشر ، أي ما بين 1844 وصولا إلى سنة 1875، الإطار المكاني فتشمل بعض أماكن من القطر الجزائري والتي منها، الأغواط الجلفة، المسيلة ،نظرا لتتبع نشاط الزوايا والطرق الصوفية عبر مناطق التراب الجزائري.

إشكالية البحث:

يعتبر الدين المحرك الذي يقود المجتمعات، والذي كانت تمثله الزوايا والطرق الصوفية، كمؤسسات كانت قائمة في المجتمع الجزائري ،خلال القرن التاسع عشر شأن المجتمعات العربية الإسلامية، بحكم امتداداته التاريخية ، وهنا ارتأينا إلى طرح التساؤل التالي:

ما مواقف الطرق الصوفية و الزوايا من التوسع الفرنسي في المنطقة خلال القرن التاسع عشر؟

وقد انبثقت عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية:

ما هي المراحل التاريخية التي مرت بها نشأة الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر ؟

ما موقف الطرق وزواياها من التوغل الفرنسي بالمنطقة؟

ما الوسائل التي اتبعتها الزوايا بعد هذا التوسع؟

تعتبر الطريقة الرحمانية من بين الطرق الصوفية أكثر انتشارا بالجزائر، فيما تمثلت تركيبتها البشرية والعقائدية ؟ وما هي ردود أفعالها إزاء التواجد الفرنسي بالمنطقة ؟

ما هي أهم التحديات والعراقيل التي واجهتها الزوايا والطرق الصوفية؟ وما هو موقف الاستعمار منها؟

و للاجابة عن هذه التساؤلات قسمنا البحث الى مقدمة و ثلاث فصول و خاتمة

الفصل الأول: الطرق الصوفية في الجزائر
الفصل الثاني: الطرق الصوفية وزواياها
الفصل الثالث: مواقف الطرق الصوفية

منهج الدراسة

انطلاقا من طبيعة الموضوع المدروس لهذه المذكرة، يتوجب علينا إتباع المنهج الخاص بالدراسات التاريخية ، وهو المنهج التاريخي، مع التنسيق مع المنهج الوصفي ، حيث اعتمدنا على الأول بشكل أساسي في استعراض الأحداث التاريخية وتسلسلها ،أما الثاني فقد اعتمدنا عليه في وصف الأحداث.

قائمة المصادر و المراجع المعتمدة

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر و المراجع و التي تفاوتت في افادتنا و تمايزت في أهميتها حسب علاقتها بالموضوع نذكر منها :

امبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر

صالح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها.

أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر هجري

صعوبات البحث

- الصعوبة في الحصول على المصادر التي تحدثت عن موضوعنا في الفترة الزمنية المحددة.
- ضيق الوقت .

الفصل الأول

الطرق الصوفية في الجلفة و جوارها

المبحث الأول : مفهوم الطرق الصوفية

المبحث الثاني : التعريف بالمنطقة

المبحث الثالث : علاقة سكان المنطقة بالطرق الصوفية

المبحث الأول: مفهوم الطريقة الصوفية

التعريف اللغوي: الطريقة في اللغة تطلق على السيرة والمذهب والحال ، ورد في المعجم الوسيط لفظ الطريقة ، وتعني الممر الواسع الممتد، والطريق مسلك الطائفة من المتصوفة وحسب لسان العرب في مادة الطرق هي السيرة والمذهب والطرق ، هو الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهن والخط في التراب ، الكهانة وطرق النجاد ، الصوف بالعود يطرقه طرقا ويطلق أيضا على السبيل الذي يطرق بالأرجل ، وعنه استعير كل مسلك سلكه الإنسان في فعل محمود كان أو مذموم ، والطريقة هي السبيل والسيرة وطريقة الرجل مذهبه ،وجمع الطريق على حين أن جمع طريقة طرائق ، وفي اصطلاح اللغة للجرجاني هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله سبحانه وتعالى، من قطع المال والترف في المقامات[1].

التعريف الاصطلاحي: ورد في كتاب الصوفية بأنها مجموعة التعاليم والآداب والتقاليد التي تختص بها جماعة من هذه الجماعات، وهي الحياة الروحية التي يحياها السالك ،أن كان باعتبارها المعراج الروحي ، ويعبر عنها "بالسفر " والسلوك والمعراج[2].

كما أطلق عليها الأحداث النفسية والمغامرات الروحية التي تعرض لهم فيها باسم الأحوال الطريقة هي أسلوب علمي يطلق عليها أيضا المذهب والرعاية ، والسلوك تؤدي من خلال تعاقب مراحل المقاومات في ارتباط متكامل مع التجارب السيكولوجية أو التقنية المسماة حالات وأحوال معايشة تجربته المقدسة[3].

في هذه التعريفات وبالنظر إلى تطور الطرق، وكذلك بالنسبة لوصف الطرق ذاتها فهي اقرب ما تكون جملة مراسيم وتنظيمات لجماعات صوفية أو مجموعة أفراد من صوفية ،ينتمون إلى الشيخ معين، ولهم نمط سلوكي روحي وحياة تهدف إلى إنكار الذات ، فهم الجماعة الزوايا ولهم مجالس علم ،وذكر ، إضافة إلى ذلك فان هناك اجتماعات دورية خاصة بهم، فالطريقة عقد بين المريد والشيخ يتولى فيها الشيخ مهمة إرشاد المريد ، وعلى المريد أن يلتزم بالطريقة التي لها علم وذكر ، وتختلف كل طريقة عن الأخرى في أداء مهماتها[4].

---

[1]- بوغديري كمال ، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التجانية انموذجا ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا ، في علم الاجتماع ، جامعة سطيف ، 2014، 2015، ص 197.

[2]- المرجع نفسه ، ص197.

[3]- المرجع نفسه ، ص 197.

[4]- المرجع نفسه ، ص 197.

الطرق في النظم الاجتماعية ، هي تجسيد المنهج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي لأتباع ذلك المنهج تحت توجيه وإشراف رائد ملهم يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية ،ومن أشهرها في الثقافة الإسلامية للطرق الصوفية، التي تعد بمثابة مدارس فكرية تجمع بأتباعها أورادا ومناهج سلوكية، وأساليب تعبدية يصعد عن طريقها المريد على سلم المقامات والأحوال[1].

فالطريقة هي منهاج اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كل المؤثرات التي نشطها عن محبة الله، وهذا المنهاج أساسه الرياضة والمجاهدة، والنسبة إلى شيخ مرب يدعى بلوغ مرتبة من مراتب الصوفية كالقطب ، فتحصل له الكرامات والمكاشفات ،لما أوتي من علم الأسرار فيعتقد الناس فيه ويأخذون عنه[2].

يعرف ابن خلدون الطريقة الصوفية قائلا ، هي العلم بكيفية تطهير القلب من الخبائث والكدرات، بالكف عن الشهوات وإخماد القوى البشرية بقطع جميع العلائق البدنية والاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام[3].

ظهر مصطلح الطريقة لاحقا إبان التصوف الجماعي المنظم ، وأصبح يطلق على جماعات المعاشرة الاخوانية، التي تعرف باسم الطرق الصوفية وتدعى الواحدة منهم باسم الطريقة[4].

في رأي السنين أن الطريقة هي التي تأسست على صفتي انقطاع القلب عن الاغيار، وخلو اليد من الدنيا الغادرة ، وأن أول طريقة كانت علي يد أبي بكر الصديق رصي ولهذا كان لتصوف طرق كثيرة ونذكر منها ، التي كانت في البداية مثل المحاسبية والقاصارية والطيفورية ، إذن فالطريقة هي حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية، التي هي المنطلق إلي الحقيقة الإلهية وعلى هذا الأساس قال المتصوفة المسلمين " لا حقيقة من دون شريعة ولا شريعة من دون حقيقة " والمتعارف عليه أن كل الطرق التي انتشرت في شمال إفريقيا، كانت من طريقتين هما الشاذلية والقادرية ، فالأولى كانت بشكل أعمق بالمغرب الاقصي والثانية

[1]- بوغديري كمال ، المرجع السابق ، ص197.
[2]- المرجع نفسه ،ص2.197
[3]- المرجع نفسه ،ص197.
[4]- المرجع نفسه ، ص197.

كانت بشكل أوسع في الجزائر ، ويستنتج من الدراسة التي قدمها بوسكي عام 1954م إن عدد مريدي الطرق الصوفية في الجزائر عام 1930م بلغ 250 ألف[1].

وللطريقة الصوفية عدة تعاريف مختلفة ، تبعا لمكوناتها ولوسائلها التربوية والروحية، ولي الأهداف التي تبتغي الوصول إليها وتحقيقها ،فهي أسلوب عملي لرعاية سلوك المورید وتوجيه عن طريق اقتفاء أثر طريقة معينة في التفكير ، والذكر والتعليم والعمل تؤدى من خلال تعاقب مراحل المقامات وتصاعدها في ارتباط وتكامل ، مع التجارب السيكولوجية أو النفسية المسماة أحوال أو سلطة قوية بما تملك من أتباع وأموال مختلفة وسلطة روحية معنوية على الناس من خلال مشايخهم[2].

لذلك تعرف الطريقة على أنها اعتراف المريد بالولاء التام، من أتباع وأموال مختلفة وسلطة روحية معنوية على الناس[3]، فالطريقة الصوفية أهمية إذ أنها كانت قياسا لدرجة الحرارة الدينية[4].

كما نلاحظ إن الطريقة الصوفية سلطة حاكمة تأمر وتنهي ، وتتسع صلاحيات هذه السلطة وتقوى بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية، كما تقوى بحسب ما تملك من مؤيدين واتباع وأموال وبحسب شخصية الشيخ أو المؤسس وأعماله، وأثاره ونلاحظ في التعريف الثالث ،انه يحكي واقع الحال لما وصل إليه التصوف خلال العهدين العثماني والاستعماري من تصور وجوب وقوع الكرامات، وخوارق العادات على أيدي زعماء التصوف ليكونوا أهلا للمشيخة.

عرفت الطريقة الصوفية بتعاريف مختلفة تبعا لمكوناتها أي العناصر المكونة لها ،وتبعا لوسائلها التربوية والروحية، وللأهداف التي تبتغي الوصول اليها ، وتحقيقها و تبعا كذلك لما تملكه من سلطات ونفوذ بين الناس، ومن هذه التعاريف[5].

انها اسلوب عملي لرعاية سلوك المريد وتوجيهه عن طريق اقتفاء اثر طريقة معينة ،في التفكير والشعور والذكر والتعلم والعمل تؤدي من خلال تعاقب مراحل المقاومات وتصاعدها في ارتباط متكامل مع التجارب السيكولوجية أو النفيسة المسماة أحوال ،وقد كانت الطريقة

[1]- د. خيرالدين شترة ، قضايا التصوف ومظاهر الصوفية ، ج2 ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015 ، ص 36
[2]- خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص 36.
[3]- المرجع نفسه، ص 36.
[4]- اندري ديرليك تر مازن بن صلاح مطبقاني ، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية ، عالم الأفكار ، الجزائر ، 2013، ص 38.
[5]- خير الدين شترة ، المرجع السابق ، ص 36.

تعني أولا، ببساطة ذلك المنهج التدريجي للتصوف التأملي وتحرير الروح والذكر، المتواصل بالتجمع حول الشيخ معترف به طلبا للتدريب خلال الاتصال والصحبة[1].

كما أنها سلطة قوية بما تملك من إتباع وأموال مختلفة ، وسلطة روحية معنوية على الناس من خلال مشايخها ، وتعتبر على أنها اعتراف المريد بالولاء التام والإيمان الكامل والانقياد المطلق لشيخ الطريقة الذي يعد من الأولياء الصالحين في نظر المؤمنين به ، والذي يستمد نفوذه على إتباعه من القدرة الخارقة للطبيعة والإتيان بما يعجز عنه البشر عادة والاستمداد من العلم[2].

نلاحظ من خلال هذه التعاريف أن الطريقة الصوفية، تتكون من الشيخ العالم أو المربي أو المعلم ذي السلطة الروحية ، التي اكتسبها بسبب اجتهاده ، وتعليمه أو العلو مكانته اجتماعية بين عشيرته ،وبين الناس كما تتكون من المريد الذي يعد تلميذا الذي يسلك طريق شيخه[3].

2 – ملامح الطرق الصوفية:

اختصت هذه الظاهرة أو تميزت كما تتميز كل ظاهرة بخصائص معينة، لما شكلته من حلقة هامة في تاريخنا الثقافي، وشهدت هذه التجربة الجماعية أوجها بالخصوص في المجتمعات البدوية أو القبلية التي ليست رهينة التقليد الآلي، بل هي مجتمعات تتصرف وفق قواعد تواصلية معتمدة في ذلك على التاريخ والذاكرة والحوار.

أثناء ما مر به التصوف في مراحل متعددة، شأنه في ذلك شأن الحركات الدينية التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية، كان عليه أن ينتج مفاهيمه ويبدأ في مأسسة نفسه ويوجد شكلا لإسلامه إسلاما" طرقيا" وهوما عرف به في ما بعد، ذلك الطريقة الصوفية جسما اجتماعيا له هذه الأخير نقصد الطريقة الصوفية تتميز بأسماء شيوخها وهي سمة مميزة للكثير من الطرق الصوفية ليس الجزائرية فحسب بل حتى المغاربية والمشرقية.

لاشك أن أهم الفاعلين في الطرق الصوفية هما الشيخ والمريدين، بل أن استمرارها وديمومتها يرجع لهذين الفاعلين واستمرار الفكر الخاص بها داخل هذه الجماعات لا يرد فقط

[1]- رابح تركي ، الطرق الصوفية والتصوف في الإسلام وتحديات المعاصرة ، الملتقى الدولي الحادي عشر ، جامعة الوادي ، ادرار ، 2008 ،ص 49.
[2]- المرجع نفسه . ص 549.
[3]- المرجع نفسه . ص 549.

إلى ديناميكية الفكرة نفسها مهما كانت قدرة النسق الذي تتأسس عليه، إذ لابد للفكرة من أكتاف تحملها ومن هيئة اجتماعية تسيغها[1].

يعتقد الصوفي اعتقادا جازما بأن هناك عالما روحيا غير محسوس يتجاوز عالم الحس والعقل معا عالم غير مرئي مليء بالرموز والإشارات والرؤى، يمكن الاقتراب منه عن طريق المعرفة القلبية أو الإلهام الروحي، حيث يضع المتصوف نفسه في أعلى درجات الإيمان، لأن ما يؤسسه التصوف هو طريقة رفة الحقيقة الدينية التي هي حقيقة ذوقية[2].

وأن نتعرض لمسألة الطرق الصوفية دون أن ننبه للوظيفة الداخلية الموجه المباشر لأعضائها من خلال التبادل المعرفي أو التلقين الذي يتولاه الشيخ من جهة والاستعداد الكامل الذي يبديه المريد من جهة أخرى، هذا المريد الذي يكون قد انتسب إلى الطريقة طواعية والتي ستكون في نهاية الأمر بمثابة "عائلته"، التي له بتكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية يحقق بها أهدافه الروحية المنشودة وكذلك الدنيوية المتوخاة.

2- 1- شيخ الطريقة (المركز):

إن قاعدة "من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، هي قاعدة كل طريقة صوفية ، التي لا تخلو من شيخ مركز – يمثل صمام الأمان بالنسبة لها وأهم دعاماتها، وبدونه لا يستقيم أمر المريد ولا ،الطريقة ولا يمكن أن تقتصر مهمة الشيخ في أدوار تلقينية بل هناك أدوارا اجتماعية نذكر منها معاونة المحتاجين ومعالجة المرضى، ناهيك عن التنشئة الاجتماعية للمريدين أوحتى الأتباع من خلال تعليمهم أمور دينهم ودنياهم، فهو بمثابة الملقن والناصح والمرشد، والأستاذ لدرايته بالحاجات النفسية التي يحتاجها المريد، قال ابن عطاء الله السكندري "من لم يكن له شيخ يوصله إلى سلسلة المتابعة فهو في الطريق لقيط لا أب له ، المعرفة دعي لا نسب له[3].

حتى يستطيع الشيخ أن يكون القيم والأستاذ الذي يقوم بعمله مع الطلبة والمريدين لابد من توفر شروط ومواصفات، يحدثنا عنها الإمام الجنيد بوضوح ويقول" لا يستحق شيخا حتى يأخذ حظه من كل علم شرعي، وأن يتورع عن جميع المحارم، وأن يزهد في الدنيا وألا يشرع في مداواة غيره إلا بعد فراغه من مداواة نفسه، وحتى يكون على علم يهدي به العباد

[1]- رابح تركي، المرجع السابق، ص 52
[2]- للمزيد حول السند الصوفي للطريقة الدرقاوية أنظر ملحق رقم 1 .1
[3]- المرجع نفسه

فإذا مرض مريده بسبب شبهة في علم التوحيد داواه، وإذا تحير في مسألة من مسائل الفقه أفتاه ، ويشترط أن يكون لديه القناعة بالغنى عن الناس، وأن يخاف ويخشى من المعاصي والأدناس وأن يلازم العمل بالكتاب والسنة يزن أقواله وأفعاله بميزان الشريعة والطريقة فإن رأيت فيه شيئا مخالفا للشرع فاتركه حتى وإن كان ذا حال صحيح، فما عليك في رده بحكم الشرع من بأس ولا تتخذه مرشدا.

فشيخ الطريقة يسمى أيضا خليفة الورد ومولى الطريقة، وهو يمثل رئيس في إطار هذه المؤسسة من خلال الإشراف عليها والإخلاص كذلك لها، وهي تعطيه بالمقابل سلطة دينية وروحية مقدسة، يضمن بها أو من خلالها "الشرعية" أمام الأتباع والمريدين، وحتى أمام الطرق الصوفية الأخرى، فالشيخ هو الذي يشرف على التعاليم في الطريقة أو الزاوية وتصدر منه كل المعارف والقرارات، هو قطب الرحى في الحقل الطرقي بل ويعتبر شرط ضروري في هذا الجسم الاجتماعي، من خلال دوره المتمثل في الضبط، فإذا كان على المستوى الاجتماعي يمثل علاقة طالب علم بشيخه، فانه على المستوى الإيديولوجي تختلف هذه العلاقة، وتصبح علاقة تابع بزعيم على الشاكلة الحزبية أو الطائفية.

نشير هنا أيضا إلى المفهوم الذي يجب أن تتوفر في من يقود هذه الطريقة، حيث يجب أن يمتلك أو أن يكون ذو كاريزما، فهي ضرورية لتلتف الجماعة حوله، وهي خاصية لا تكون فقط في مؤسسات الطريقة بل حتى في مؤسسات أخرى، هذه السلطة الكاريزماتية لا تستمد مشروعيتها في أثناء التأسيس من المعايير القرابية المتوارثة ، بل من الخصائص الإنسانية الخارقة للعادة التي يعتقد الناس أنها متوافرة لدى شخص معين كامتلاكه قدرات روحية وفكرية خاصة[1]، مثلا البركة التي يسميها كليفورد غيرتز ب الكهرباء الروحية، وقدرته على منحها لمريديه وخدامه وأتباعه، في حين تعترف جل الطرق الصوفية بالسلطة الروحية للشيخ، بل يعد أصلا ثابتا من جملة أصولها كونه يمثل دور الوسيط بين الله وعباده.

ويكفي أن تذوب هويتها الجماعية ضمن هوية فردية، ما يحقق له مجدا شخصيا خاصة إذا ظهر وأنه يمتلك كرامات، ناهيك على أن الشيخ في حد ذاته ضرورة دينية من جهة وضرورة تربوية أخلاقية بها يحدد آداب المريد والأخلاق التي يجب أن يكون عليها من جهة

[1]- أحمد الشريف الدرقاوي،" شور الطوية في مذهب الصوفية"، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،رقم 96جك/1، 3 بن العربي ص 46

أخرى هي ضرورة لزومية في الطريقة الصوفية التي هي في النهاية مجموعة من المريدين يبايعون شيخا يعتبرونه المرشد الروحي لهم.

الشيخ ضروري للمريد ليس فقط كمعلم بل أيضا كقائد تجب طاعته بشكل مطلق، طاعة ظاهرة بالجوارح وطاعة باطنة في القلب، حيث إرادة الشيخ الحرة هي التي تملي على المريد القواعد الخاصة التي يجب عليه إتباعها، فضلا عن تقرير مبادئ الطريقة وتعاليمها وطقوسها ناهيك عن المسؤولية المباشرة التي يملكها في تسير الطريقة أو الزاوية، فهو باختصار شديد صاحب الحل والربط فيها[1].

وأن يكون ذومكانة مرموقة لدى الأتباع ويحتل منزلة عالية في وسط مجتمعه ويحاط بهالة قدسية، وينسج حوله القصص والأساطير، فهو عرضة لكثير من الإغراءات والأخطاء التي قد تبقى وصمة عار لا به بل حتى لأقاربه وعشيرته، فنحن مهما كان لم نخرج بعد من تفكير أو فكر القبيلة، وقولنا نابع مما حدث لبعض شيوخ الطرق الصوفية إبان الحقبة الاستعمارية، أين عمل الاستعمار على توظيفهم لمصالحه الخاصة، فهو كان يعلم طبعا بالاعتماد على الدراسات الأنثربولوجية الميدانية التي اقتحمت جل مناطق المغرب العربي لاسيما منها التي اهتمت على وجه الخصوص بالحياة الدينية لهذه الشعوب والقبائل المتفرقة على هذه البلدان أين كانت فيها سلطة شيخ الطريقة أوالزاوية مطلقة على المريدين تمليها عليهم القيم والتعاليم والمبادئ الصوفية، إذ أن عمدة المحبة له، فمن لا يبالغ في محبة شيخه بحيث يؤثره على الأشياء من الأدب مع الشيخ هي جميع شهواته – لا يفلح في الطريق، وهي محبة تقتضي منه أيضا أن يحب أجله، ويكرهها من أجله، لذلك عرف الاستعمار معنى هذه السلطة عند أتباع الطرق الصوفية ومدى تأثيرها حتى على القبيلة، ما جعل الأمر يبدو في غاية السهولة لدى المستعمر، عندما عمد إلى استغلالها، وجعلها في خدمة مصالحه نظير امتيازات كثيرة، ولكن – وهذا للأمانة فقط – لم تستطع أن تنال مرادها وغايتها من كل الطرق الصوفية، التي كانت سدا منيعا في وجهه، بفضل شيوخها أولا ، الذين كانوا يؤمنون بأن هذا المستعمر كافر يجب الجهاد فيه، من منطلق ديني محض بعيدا عن تلك المزايدات الوطنية والإيديولوجية، فالمتدين ينظر إلى اللامتدين في المجتمع الواحد

[1]- أحمد شريف الدرقاوي، المرجع السابق، ص 47

بعين الريبة، فما بالك إذا كان هذا اللامتدين طبعا من وجهة الدين الذي هو عند المتدين . من خارج مجتمعه وغازيا لبلده[1].

إن ورع الشيخ وسمعته الطيبة والقوية لها كل الفضل في البقاء على الطريقة متماسكة ولأن له تأثير كبير على مريده فهذا لا يمنعه من المزيد من التقوى، الذي يتمثل سلوكيا في التواضع لهم برفع الكلفة بينه وبينهم، مع أخذ بعض المساحة بينه وبينهم كذلك مثل عدم النوم معهم ولا حتى الأكل، حيث يكون أحد المريدين خادمه الخاص، يقوم بإحضار الطعام له ويرقد بالقرب من الخلوة وراء الباب، إذ قد يحتاج إلى خدمته، فالشيخ يقوم مقام الله في توجيه المريد....

وشيخ الطريقة أو مولى الطريقة يكون في الأغلب حامل للبركة التي يقول فيها بعضهم بأنها ليست مفهوما دينيا وإنما عقيدة دينية بأكملها، فالشيخ هو وريث شرعي لإمام الطريقة أو المؤسس، كما قد يكون الشيخ وليا صالحا أو عالما مشهورا كالشيخ عبد الرحمان الثعالبي في الجزائر وأبي مدين في تلمسان وغيرهم[2].

يذهب ابن عباد الرندي وهو متصوف وصاحب مؤلفات في هذا الحقل المعرفي ك" شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري والرسائل الكبرى في التوحيد والتصوف وغيره، بعد أن استقر به المقام بعد طول تطواف إماما وخطيبا بالقرويين بفاس وبها توفي، حينما وافق القائلين بضرورة الشيخ في سلوك طريق التصوف، حيث يقول "الذي أراه أن الشيخ في سلوك طريق التصوف على الجملة أحد إنكاره، وكان هذا من الأمور الضرورية" ، بيد أمر لازم لا يسع يتكلم على نوعين من الشيوخ يواصل فيقول " لكن الشيخ شيخان، شيخ تعليم وتربية وشيخ تعليم بلا تربية (وربما هو يكون السائد في وقتنا الحاضر)، فشيخ التربية ليس بضروري لكل سالك، وإنما يحتاج إليه من فيه بلادة ذهن، واستعصاء نفس، وأما من كان وافر العقل منقاد النفس فليس بلازم في حقه، وتقيده به من باب أولى، وأضاف، أما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك، وكتب أهل التصوف مرجعها إلى شيخ التعليم، فالشيخ إذن لابد منه على كل

[1]- محمد بن محمد المهدي التمسماني، الإمام مولاي العربي الدرقاوي، شيخ الطريقة الدرقاوية الشلذلية ترجمته وبعض آثاره، ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 2008 ، ص ص 81-82.

[2]- المرجع نفسه، ص 83

حال، لأن الشيخ دليل على طريق الله تعالى بمنزلة الدليل على الطريق المحسوسة، فاعتماد الشيخ المربي كذلك هو طريقة الأئمة المتأخرين من الصوفية[1].

لا يكتفي الشيخ بالتعليم والتلقين، بل السهر بكل جوارحه على تقلبات المريد خوفا من أن تنزلق به القدم نحو العجب بالنفس، فبقوة تمرسه بالمجاهدة يكون الشيخ على قدر من العزم من أن يجعل المريد دائما مستعدا لتعلم طرائق الصوفية، أهل التحقق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية، وهذا ما نلمسه عند ابن خلدون عندما يبارك شيوخ الصوفية، ويدعومن أراد أن يحصل على المعرفة الحقيقية أو الحقة . من أن يصاحب أرباب الصوفية، يقول" ولن يتوصل إلى هذا الحد من التطور الروحاني إلا من صاحب في هذه الحياة أرباب القلوب وطلاب الآخرة، الشيوخ الصوفية إذ هم للمريد وقاية ولطالب السلوك قوة وهداية[2].

2- 2- علاقة الشيخ بالمريد:

نادرا ما نرى في العلاقات الإنسانية، علاقة جد وثيقة، كالتي تكون بين الشيخ ومريديه وهي علاقة متبادلة مبنية على الاحترام والتقدير، يبتدئها الشيخ بأن يمتنع من كل رفع للكلفة في حدود ما تسمح به التقاليد الصوفية، فهو معلمهم الذي يجب عليه احترامه، وأن يلتزموا بالتنظيم الدقيق، التي يمكن أن تلخص روحه على نحو رائع هي أنه إذا سافر الشيخ كان على المريدين أن يذهبوا يوميا إلى خلوته ليحيوها كما لوكان حاضرا[3]، ويزداد حرص الشيخ على مريديه، بأن لا يجعلهم عرضة للفراغ ولا الهوى وكأننا به يتماهى مع حرص الشيخ عبد القادر الجيلاني على أن يبتعد مريدوه عن كل ما من شأنه أن ينزل من مكانتهم الاجتماعية كالبطالة وسؤال الناس لذلك كان يحثهم على الاشتغال بالكسب والتجارة بشرط أن يراعوا الشرع وبمجمل القول أن من العلامات الرئيسية للتدين الإيجابي هي زوال امتداد شبح الفراغ في الحياة اليومية والالتقاء التوأمي بين الهدفين الدنيوي والديني، تجسيدا لقول علي كرم الله وجهه "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا".

لابد إذن للمريد من شيخ يعلمه طرائق الصوفية " أهل التحقق في التوحيد الذوقي والمعرفة الوجدانية، وذلك يكون في البداية إما بالاعتماد على كتب الهداية الوافية بشروط النهاية

[1]- فتح ا الله بن الشيخ أبي بكر البناني ، إتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل الله، ط 1 ، المطبعة العامرة الشرقية، 1324هـ، (د - م)، ص 127.

[2]- المرجع نفسه، ص 129

[3]- بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 200

والبداية كالإحياء والرعاية أو يكتفي بالشيخ الذي يميز للمريد عند اشتباه الواردات والأحوال ومسائل تلك الطرق ومسالكها، فيكون له بمنزلة الطبيب للمريض ومنه تكتسي إحدى العلاقة الصحية العلاجية الوقائية، فكما يبدي الطبيب نصحه للمريض ويحرم عليه بعض الأكل والحاجات الدنيوية بغرض شفائه، فكذلك الشيخ يمنعه من الوقوع في المعاصي والمحاذير لنقاء نفسه، فالشيخ بقوة تمرسه بالمجاهدة قادر على أن يجعل هذا المريد مستعدا لاحتمال المطلع، جديرا بتميز السنن في الأحوال من البدع[1].

لعلنا نكرر أحيانا غير أننا نبغي وراء هذه التكرارات الاضطرارية وضع استقلالية لكل عنصر عن الآخر، استقلالية لا تحد من ترابط الأفكار عن بعضها تباعا، كما هو الشأن في علاقة الشيخ بالمريد وهي علاقة متعدية ومتغيرة ففي مراحل يكون الشيخ ساهرا بكل جوارحه على تقلبات المريد خوفا من أن تتزلق به القدم نحو العجب بالنفس ويسلك طرق الإباحة أو التصريح بما لا يجوز التصريح به وفي مراحل أخرى أين يكون فيها الشيخ قد ذاق المقامات المختلفة يكون أكثر قدرة على أن يهيأ المريد لتلقي ذلك النور الذي يقذفه الله في الصدر على حد تعبير الغزالي[2].

المبحث الثاني : جغرافيا ولاية الجلفة و الاغواط و عروشها

المطلب الأول : لمحة عن جغرافيا ولاية الجلفة و أهم عروشها

الفرع الأول : جغرافيا ولاية الجلفة

الموقع

تقع ولاية الجلفة في وسط الجزائر، وتعتبر مفترق طرق هام يربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب .تحدها من الشمال ولاية المدية، ومن الشرق ولاية المسيلة، ومن الجنوب ولاية الاغواط، ومن الغرب ولاية تيارت.

المساحة

تبلغ مساحة ولاية الجلفة. 2300.000كيلومتر مربع، أي ما يعادل .1.36 من المساحة الإجمالية للجزائر.

التضاريس:

[1]- نفسه، ص 203

[2]- اندري ديرليك تر مازن بن صلاح مطبقاني، مرجع السابق، ص 40

تتميز ولاية الجلفة بتنوع تضاريسها، حيث نجد فيها:

- **الهضاب** :تشكل الهضاب حوالي 70% من مساحة الولاية، وأهمها هضبة الجلفة التي تمتد من شمال الولاية إلى جنوبها.
- **السهول** :تقع السهول في الجزء الشمالي والغربي من الولاية، وأهمها سهل عين وسارة.
- **الوديان** :تُصرف مياه الأمطار في الولاية من خلال شبكة كثيفة من الأودية، أهمها وادي جدي ووادي زقاق[1].

المناخ:

يسود المناخ القاري الشبه جاف في ولاية الجلفة، حيث تتميز بشتاء بارد وصيف حار جاف.

الغطاء النباتي:

يتكون الغطاء النباتي في الولاية من أشجار ونباتات رعوية، وأهمها الحلفاء و الشيح و العرعار و الاكليل.

الموارد الطبيعية:

تتمتع ولاية الجلفة بموارد طبيعية غنية، أهمها[2]:

- **المياه الجوفية** :تحتوي الولاية على كميات كبيرة من المياه الجوفية، تُستخدم في ريّ الأراضي الزراعية .

السكان:

يبلغ عدد سكان ولاية الجلفة حوالي 1.453523 موزعة على 36 بلدية.

النشاطات الاقتصادية:

تعتمد النشاطات الاقتصادية في ولاية الجلفة بشكل أساسي على:

- **الزراعة** :تُعتبر الزراعة من أهم النشاطات الاقتصادية في الولاية، حيث تُنتج الحبوب والخضروات والفواكه.
- **الرعي** :تُمارس الرعي بشكل كبير في الولاية، وذلك لوجود مساحات شاسعة من المراعي.

[1]-أبو يعلي الزواوي، التصوف،مجلة البصائر، ع 7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 14 فيفري 1936.ص13
[2]مبارك بن محمد الميلي، التعليم بالجزائر وحظ الزوايا منه، مجلة الشهاب، ع13، فيفري 1926 ص16

مواقع هامة في ولاية الجلفة:

- **مدينة الجلفة** :عاصمة الولاية، وتتميز بوجود العديد من المعالم التاريخية والثقافية.
- **عين وسارة** : مدينة تقع في شمال الولاية، وتتميز بوجود واحة كبيرة.
- **مسعد** :مدينة تاريخية تقع في جنوب الولاية، وتتميز بوجود قلعة تاريخية.

التاريخ:

- سكنت المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، كما تدلّ على ذلك الرسوم الصخرية الموجودة في بعض المواقع.
- تعاقبت على المنطقة العديد من الحضارات، أهمها الحضارة الرومانية والحضارة الإسلامية[1].
- كانت ولاية الجلفة من أهم مراكز التجارة في الصحراء خلال العصور الوسطى.

الفرع الثاني : عروش منطقة الجلفة

تتميز منطقة الجلفة بتنوع كبير في التركيبة السكانية، حيث تضم العديد من العروش العربية التي سكنت المنطقة منذ قرون.

من أهم عروش منطقة الجلفة:

- **أولاد نايل:** يُعدّون من أكبر عروش المنطقة، ويسكنون في كل الجهات.
- **أولاد عبد الله:** يسكنون في غرب الولاية.
- **أولاد سيدي عيسى:** يسكنون في شرق الولاية.
- **أولاد يعقوب:** يسكنون في وسط الولاية.
- **أولاد بن جلول:** يسكنون في جنوب غرب الولاية.
- **أولاد سيدي أحمد:** يسكنون في شمال شرق الولاية.

لعبت العروش دورًا هامًا في تاريخ منطقة الجلفة، حيث ساهمت في حماية المنطقة من الغزاة، كما لعبت دورًا هامًا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة.[2]

النظام الاجتماعي للعروش:

- كانت العروش تُنظّم بشكل هرمي، حيث كان لكل عرش شيخ يُسمّى "المقدم."

[1]-عبد المنعم حنفي، الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف والمفكرين الطرق الصوفية)، دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، مصر 1992
[2]عبد المنعم حنفي، نفس المرجع السابق ، ص67

- كان المقدم مسؤولاً عن إدارة شؤون العرش، وتمثيله في العلاقات الخارجية.
- كان لكل عرش مجلس يُسمّى "الأعيان."
- كان الأعيان يُساعدون المقدم في إدارة شؤون العرش، وإصدار الأحكام في النزاعات.
- كانت العروش تُقسم إلى فروع، كلّ فرع له شيخ خاص به.

دور العروش في المجتمع:

- كانت العروش تُوفّر الحماية لأفرادها من الغزاة والمجرمين[1].
- كانت العروش تُساهم في حلّ النزاعات بين أفرادها.
- كانت العروش تُنظّم الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية.
- كانت العروش تُحافظ على العادات والتقاليد.

المطلب الثاني : لمحة عن جغرافي الاغواط و اهم عروشها

الفرع الأول: جغرافي الاغواط

الموقع:

تقع ولاية الأغواط في **وسط الجزائر**، وتُعدّ مفترق طرق هام يربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب .تحدّها من الشمال ولاية الجلفة، ومن الشرق ولاية مسيلة، ومن الجنوب ولاية غرداية، ومن الغرب ولاية البيض.

المساحة:

تبلغ مساحة ولاية الأغواط **25.052كيلومتر مربع**، أي ما يعادل 8% من المساحة الإجمالية للجزائر.

التضاريس:

تتميز ولاية الأغواط بتنوع تضاريسها، حيث نجد فيها[2]:

- **السهول** :تقع السهول في الجزء الشمالي والغربي من الولاية، وأهمها سهل عين سيدي علي.
- **الجبال** :توجد بعض السلاسل الجبلية في الولاية، أهمها جبال القرارة في الشمال الشرقي وجبال المواس في الجنوب الغربي.

[1] فاطمة داود، التصوف الإسلامي – مفهومه، أصله –، حوليات التراث، ع1، مستغانم 2004.ص43
[2] فاطمة داود، نفس المرجع السابق ، ص46

النشاطات الاقتصادية:

تعتمد النشاطات الاقتصادية في ولاية الأغواط بشكل أساسي على:

- **الرعي** :تُمارس الرعي بشكل كبير في الولاية، وذلك لوجود مساحات شاسعة من المراعي.

مواقع هامة في ولاية الأغواط:

- **مدينة الأغواط** :عاصمة الولاية، وتتميز بوجود العديد من المعالم التاريخية والثقافية.
- **عين سيدي علي** :مدينة تقع في شمال الولاية، وتتميز بوجود واحة كبيرة.

التاريخ:

- سكنت المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، كما تدلّ على ذلك الرسوم الصخرية الموجودة في بعض المواقع.
- تعاقبت على المنطقة العديد من الحضارات، أهمها الحضارة الرومانية والحضارة الإسلامية.
- كانت ولاية الأغواط من أهم مراكز التجارة في الصحراء خلال العصور الماضية.

المواقع الأثرية:

- **مدينة الأغواط القديمة:** تتميز بوجود العديد من المعالم الأثرية، مثل قلعة الأغواط والمسجد العتيق والسوق القديم. [1]

الفرع الثاني : عروش ولاية الاغواط

تتميز منطقة الأغواط بتنوع كبير في التركيبة السكانية، حيث تضم العديد من العروش العربية التي سكنت المنطقة منذ قرون.[2]

من أهم عروش منطقة الأغواط:

- **الحرازلية:** يسكنون في وسط الولاية.
- **مخاليف الصحراء:** يسكنون في جنوب الولاية.

النظام الاجتماعي للعروش:

- كانت العروش تُنظّم بشكل هرمي، حيث كان لكل عرش شيخ يُسمّى "المقدم".

[1] خير الدين زركلي، نفس المرجع السابق ، ص56

[2] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1971.ص63

- كان المقدم مسؤولاً عن إدارة شؤون العرش، وتمثيله في العلاقات الخارجية.
- كان لكل عرش مجلس يُسمّى "الأعيان".
- كان الأعيان يُساعدون المقدم في إدارة شؤون العرش، وإصدار الأحكام في النزاعات.
- كانت العروش تُقسم إلى فروع، كلّ فرع له شيخ خاص به.

دور العروش في المجتمع:

- كانت العروش تُوفّر الحماية لأفرادها من الغزاة والمجرمين.
- كانت العروش تُساهم في حلّ النزاعات بين أفرادها.
- كانت العروش تُنظّم الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية.
- كانت العروش تُحافظ على العادات والتقاليد.[1]

المبحث الثالث : علاقة سكان الجلفة و الاغواط بالطرق الصوفية

المطلب الأول : ولاية الجلفة الطرق الصوفي

الممارسات الصوفية:

يُمارس أتباع الطرق الصوفية في الجلفة مختلف الممارسات الصوفية، مثل:

- **الأذكار** :وهي عبارة عن ترديد عبارات دينية محددة بشكل منتظم.
- **الذكر** :وهو عبارة عن حالة من التهيّج الروحي يتمّ الوصول إليها من خلال الأذكار والممارسات الصوفية الأخرى[2].
- **المشيخة** :وهي عبارة عن علاقة روحية بين المريد والشيخ.

الآثار الإيجابية للطرق الصوفية:

- **نشر القيم الدينية والأخلاقية** :تُسهم الطرق الصوفية في نشر القيم الدينية والأخلاقية بين أفراد المجتمع، مثل الصدق والأمانة والعدل والتسامح.
- **تعزيز الترابط الاجتماعي** :تُسهم الطرق الصوفية في تعزيز الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع من خلال حلقات الذكر واللقاءات الدينية.
- **الحفاظ على التراث الثقافي** :تُسهم الطرق الصوفية في الحفاظ على التراث الثقافي للمنطقة ونقله للأجيال القادمة.

[1] عادل نويهض، نفس المرجع السابق ، ص64
[2] نفسه ، ص68

تتمتع الطرق الصوفية بحضور تاريخي وثقافي راسخ في مدينة الجلفة ومحيطها، حيث لعبت دورًا هامًا في تشكيل الهوية الدينية والاجتماعية للسكان .ويرتبط سكان الجلفة بروابط قوية مع مختلف الطرق الصوفية، سواء من حيث الانتماء الروحي أو الممارسات الدينية أو التقاليد الاجتماعية[1].

أبرز الطرق الصوفية في الجلفة:

- **الطريقة القادرية:**تُعدّ من أقدم الطرق الصوفية انتشارًا في الجلفة، حيث تأسست على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني في القرن الثاني عشر الميلادي .يتميز أتباع هذه الطريقة بارتداء العمامة البيضاء وإقامة حلقات الذكر بشكل منتظم.
- **الطريقة التجانية:**تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد التجاني في القرن الثامن عشر الميلادي، وتتميز بأذكارها المميزة وتركيزها على التوحيد الإلهي .يرتدي أتباع هذه الطريقة العمامة الصفراء ويقيمون حلقات الذكر بشكل منتظم.
- **الطريقة الرحمانية** :تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الازهري في القرن الثامن عشر، وتتميز بأذكارها وأورادها الخاصة .يرتدي أتباع هذه الطريقة العمامة السوداء ويقيمون حلقات الذكر بشكل منتظم.

دور الطرق الصوفية في حياة سكان الجلفة:

- **الحياة الدينية** :تلعب الطرق الصوفية دورًا هامًا في الحياة الدينية لسكان الجلفة، حيث توفر لهم بيئة إيمانية مناسبة لممارسة شعائرهم الدينية وتلقي العلم الديني .كما تُسهم الطرق الصوفية في نشر القيم الدينية والأخلاقية بين أفراد المجتمع.
- **الحياة الاجتماعية** :تُعدّ الطرق الصوفية عنصرًا هامًا في الترابط الاجتماعي بين سكان الجلفة، حيث تُشكل حلقات الذكر واللقاءات الدينية مناسبات للتواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع .كما تُسهم الطرق الصوفية في حلّ النزاعات وتعزيز التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع[2].

[1]-سلطان الأسود، الطريقة الجامعة الخلوتية الرحمانية، الموقع الالكتروني: http://www.dalraleman.com / .

[2]-سلطان الأسود، الطريقة الجامعة الخلوتية الرحمانية، الموقع الالكتروني: http://www.dalraleman.com / .

- **الحياة الثقافية** :تُثري الطرق الصوفية الحياة الثقافية في الجلفة من خلال مختلف الأنشطة التي تقوم بها، مثل إقامة الحفلات الدينية والندوات الثقافية وإصدار الكتب والمجلات الدينية .كما تُسهم الطرق الصوفية في الحفاظ على التراث الثقافي للمنطقة ونقله للأجيال القادمة.

التحديات التي تواجه الطرق الصوفية في الجلفة:

- **التغيرات الاجتماعية** :تواجه الطرق الصوفية تحديات ناتجة عن التغيرات الاجتماعية التي تشهدها المنطقة، مثل انتشار التعليم والثقافة الحديثة.
- **التيارات الدينية المتطرفة** :تواجه الطرق الصوفية منافسة من قبل التيارات الدينية المتطرفة التي تسعى إلى نشر أفكارها المتشددة بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني : علاقة سكان منطقة الاغواط بالطرق الصوفية

ظلت مدينة الأغواط بحكم موقعها الجغرافي ومكانتها العلمية والسياسية محطة لتفاعلات أغلب الطرق الصوفية، ومن أبرزها وجودا في هذه المدينة نذكر: القادرية،' التيجانية ' السنوسية ' الشاذلية، العزوزية[1].

أ –الطريقة القادرية :إنها أول طريقة صوفية ظهرت كما هو معروف في العالم الإسلامي، وسميت بالقادرية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين بن محمد عبد القادر الجيلالي.

ويمكن القول بأن هذه الطريقة قديمة الوجود في مدينة الأغواط غير أننا نجهل اسم أول من أدخلها إلى هذه المدينة وفي أي تاريخ بالتحديد من أبرز روادها:

- الحاج العربي موتح: قدم على رأس هذه الطريقة بإيجاز من شيخها في تونس. من أثاره إعادة بناء قبة الشيخ سيدي عبد القادر سنة1896 م.
- الحاج الطيب بن الحاج العربي : ولد سنة1854 م، آلت إليه رئاسة الطريقة القادرية بعد وفاة أبيه جدد بناء القبة المذكورة سنة1929 م وكانت وفاته في السنة الموالية.

كما نشير إلى أن هذه الطريقة قد ساهمت أيما مساهمة في بعث النهضة التربوية وذلك لعلاقتها الوطيدة بالشيخ عبد العزي زبن الهاشمي الذي يؤول إليه الفضل في استقدام الشيخ الزبيري للتدريس في مدينة الأغواط.

[1]-أحمد مريوش،الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007.ص45

ب –الطريقة التيجانية :نسبة إلى الشيخ سيدي أحمد التجاني(1737) م1815 – م (امتد تأثير هذه الطريقة الصوفية بسرعة إلى مدينة الأغواط بفعل موقعها الجغرافي المتلخم لبلدة عين ماضي مهد الزاوية التيجانية وكذا تنقلات الشيخ سيدي أحمد التيجاني نفسه إلى هذه المدينة (الأغواط) ليتفقد أتباعه هناك أو مراسلاتهم بعد ذلك من مدينة فاس وفير ذلك من المؤثرات الأخرى .

من أبرز أعلام هذه الطريقة بالاغـواط .

- الشيخ سحنون بلحاج: وهو من أعلام الطريقة التيجانية، أخذ وردها مباشرة عن مؤسسها الشيخ سيدي أحمد التيجاني الذي رأسه بعد انتقاله إلى فاس ودعا له ولكافة مريديه الخبر والفلاح...

ويذكر الشيخ سكيرج في معرض حديثه عن ولدي الشيخ سحنون بلحاج السيدين محمد وأحمد أنه عثر على رسالة بعث بها السيد محمود التونسي إلى الشيخ سيدي أحمد التيجاني بطلب منه طمأنة أصحابه في كل من الأغواط وتاجموت والأرباع وأولاد السايح وغيرهم.

- الشيخ أحمد بن إسماعيل: من فقهاء مدينة الأغواط، أخذ الطريقة التيجانية عن مؤسسها ويؤثر عنه في هذه المدينة حيث الشيخ أحمد سكي رج أنه كان كثيرا التلاوة حتى انفرد بعلم التجويد مع صوته الحسن ولذلك أثراه هذا الأخير بأبيات شعرية نذكر منها:

ومنهم الأرضي ابن إسماعيل
أعلى به الأغـواطي النبيلا
كان مع الأصحاب في البساط
وبالأخص ساكني الاغـواط
فكان إذا تلا حرك الجمـد
بحسن صوته الذي به أحـد

- الشيخ أحمد بن بلقاسم بن أحمد البوزيدي: هو من نسل سيدي بوزيد.
- الشيخ أحمد بن سحنون: هو فقيه وابن فقيه، اتبع والده في التمسك بالطريقة التيجانية وكان محبا للعلامة ابن المشري صاحب التأليف المعروفة في التصرف.

- الشيخ ابن الدين: من أعلام وعلماء مدينة الأغواط عمل قاضيا بالعاصمة، أخذ ورد الطريقة التيجانية[1].

د – **الطريقة الشاذلية (الدرقاوية):** طريقة صوفية تفرعت عن الشاذلية، بدأ في نشر تعاليمها في مدينة الأغواط الشيخ سيدي موسى بن حسن المصري فترة تواجده بها سنة 1829 تردد على حلقاته العديد من فقهاء وأعيان وعامة هذه المدينة نذكر منهم المشايخ قازي بن البوزياني وأحمد بلحاج بوهله ومحمد وغيرهم.

ومن أشهر أعلام هذه الطريقة التي صارت تدعى فيما بعد ب (الموساوية) نسبة إلى مؤسسها الشيخ سيدي موسى والذين تركوا بصمات معتبرة في المجالين والديني عموما نذكر:

- الشيخ أحمد بلحاج : من أعلام الطريقة الشاذلية الموسوية، أخذ وردها مباشرة عن الشيخ سيدي موسى بن حسن (وكان قبل ذلك ناصري الطريقة) والذي لازمه طويلا في بعض أسفاره إلى أن حالفه الاستشهاد وإلى جنبه في انتفاضة الزعاطشة سنة1849 م تحت قيادة مفجر هذه الانتفاضة الشيخ بوزيان.
- البشير بن الحاج: هو ابن العالم الشهيد المذكور، عرف بالتضليع في الفقه والحديث والتوحيد والتصوف وقد درس هذه العلوم بمسجد الموسوية، توفي سنة1917 م ولصيته وورعه وتقواه رثاه كل من عبد الله بن كريو وأخوه محمد وأحمد بن الحرمة. وظلت إلى حين من الدهر الذاكرة الشعبية بمدينة الأغواط تستلهم من مواقفه الدينية العضات والعبر.

هـ – الطريقة السنوسية :نسبة إلى محمد بن علي السنوسي1787) م1859 – م(المولود بالقرب من مدينة مستغانم، تناقل العديد من مؤرخي الطرق الصوفية أن الشيخ السنوسي مر بجنوب الجزائر بغية التعرف على أشهر مقاديم الزوايا[؟]هناك التي تتميز بأهمية موقعها بوصفها ملتقى القوافل الآتية من السودان الغربي يلقي دروسا في الشريعة واللغة العربية ثم ارتحل عنها (أي الأغواط) إلى بلدة مسعد[2].

[1] أحمد مريوش، نفس المرجع السابق ، ص46
[2] أحمد مريوش، نفس المرجع السابق ، ص49

و –الطريقة العزوزية :طريقة صوفية تفرعت عن الطريقة الرحمانية. وتنسب إلى الشيخ محمد بن عزوز المولود بالبرج قرب مدينة بسكرة .خلف الشيخ سيدي محمد بن عزوز أولاد نذكر منهم: الشيخ لحسن الذي كان خليفة للأمير عبد القادر في منطقة الزيبان والشيخ مصطفى العدو اللدود للفرنسيين منذ سنة1849 م وإليه يعزى تأسيس الزاوية الرحمانية ب نفطة والتي كانت مأوى للاجئين والمطرودين من الجزائريين. أما الشيخ المبروك فقد انسحب إلى مدينة الأغواط وأسس بها الطريقة العزوزية (الرحمانية) منذ خمسينيات القرن التاسع عشر بعدما ضايقه الفرنسيون في منطقة «الزيبان» وقد ساهمت هذه الطريقة مساهمة معتبرة في المجالين الديني والاجتماعي كقيامها بتحفيظ القرآن الكريم وإيواء الفقراء والمحتاجين. تولى رئاسة هذه الطريقة بعد الشيخ سيدي المبروك ابنه الشيخ سيدي الأزهري والذي تذكر مآثره قيامه باستخدام الشيخ محمد العاصي للتدريس بمدينة الأغواط

الفصل الثاني

الطرق الصوفية وزواياها

المبحث الأول : الطريقة الرحمانية و زواياها

المبحث الثاني : الطريقة الدرقاوية و زواياها

المبحث الثالث : الطريقة السنوسية و التجانية و زواياهم

المبحث الأول : الطريقة الرحمانية

المطلب الأول : مؤسسها

تنسب الطريقة الرحمانية إلى العالم الجزائري الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطولي الجرجري وهناك من يدعونه بمحمد بن عبد الرحمان القشطولي الإدريسي الحسن الأزهري.

ولد مؤسس هذه الطريقة الشيخ محمد عبد الرحمان القشطولي الجرجري في قرية بعلاوة من قبيلة ايت إسماعيل بجبال جرجرة بالجزائر 1127 هـ [1].

تلقى تعليمه في زاوية الشيخ الصديق وأعراب في بلدة ايت براثن ثم ارتحل إلى مدينة الجزائر العاصمة في سنة 1146 هـ خرج قاصدا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج في

رحلة طويلة جدا استغرقت 37 سنة متصلة ابتدئها بتوقف في العاصمة المصرية القاهرة مدة غير قصيرة [2]، قد تتلمذ خلال تلك الفترة على يد مجموعة من كبار أعلام مصر من الفقهاء والمحدثين نذكر منهم علي بن احمد الصعيدي وسالم النفراوي وعمر الطحلاوي وحسن الجداوي العمروسي واحمد الدريروي ومحمد بن سالم الحفناوي وعن هذا الأخير تلقى الشيخ محمد بن عبد الرحمان الطريقة الخلوتية أصبح فيما بعد من المبشرين بها الناشرين لها في الهند السودان بأمر من شيخه محمد بن سالم الحفناوي [3].

ثم رجع بعد هذا الجهاد الطويل المكلل بالخلاص والتوفيق في الدعوة إلى الله تعالى إلى بلده الجزائر حيث نشر الطريقة الخلوتية التي سميت منذ أول أيامها في الجزائر باسم الطريقة الرحمانية[4] .

وقد كان له في الجزائر أثناء إقامته بالمشرق تلاميذ يتراسلون معه، ويعلمهم مبادئ الطريقة الخلوتية ومن تلاميذه الذين منحهم الإجازة أثناء إقامته في الجزائر بالقاسم بن محمد المعاتقي الذي رفعه إلى رتبة مقدم الطريقة والشيخ العابد بن الأعلى الشرشالي وقد اخذ أيضا عن الشيخ احمد التيجاني، مؤسس الطريقة التيجانية[5].

لإقبال الناس عليه وتحلقهم حوله وائتمارهم بأمره، وانتهائهم بنهيه خاف الوالي التركي منه، فدبر له مع شرذمة من علماء السوء الذين لا يخلو منهم بلاط الحاكم عادة مؤامرة

---

[1]- Octave Depont , Xavier Coppolani, référence antécédent, p p 382 -383.

[2] - سلطان الأسود، ترجمة الشيخ مؤسس الطريقة الرحمانية، الموقع الالكتروني: http://www.dalraleman.com/ بتاريخ: 2009/03/15

[3]- صلاح مؤيد العقبي،المرجع السابق، ص 156.

[4]- سلطان الأسود، المرجع السابق.

[5]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 507.

تمثلت في إصدار فتوى فقهية ضد طريقته، ولكن وبعد بعض المناقشات فيها تأكدت من براءته وانتشرت الطريقة الرحمانية في بلاد القبائل الكبرى والصغرى، وبلغت الطريقة أوسع انتشارها في كامل أنحاء دول المغرب العربي، وسارت هذه الطرقة على أكمل حال وابرك منوال حتى انتقل الشيخ محمد بن عبد الرحمان إلى جوار الرحمان في سنة 1208 هـ/1793 م دفن في بلدة ايت إسماعيل بالجزائر واشتهر بعد موته بلقب بوقيرين سبب هذا اللقب أن الأتراك خافوا تكاثر المؤيدين والقبائل حول ضريحه فنقلوا جثمانه إلى العاصمة الجزائر واودعوه قبرا هناك ليكون الزائر له تحت سمعهم وأنضارهم فنبش رجال القبائل قبره في ايت إسماعيل فوجد كأنه دفن اليوم فلقب بهذا اللقب[1] .

المطلب الثاني: التعريف بالطريقة الرحمانية

أطلق على الطريقة اسم الرحمانية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمان كما عرفت أيضا بالرحمانية الجامعة لجمعها مختلف تعاليم الطرق المعروفة من أسانيد وآداب وأوراد معبرة بذلك عن روح وأوراد الطرق كلها [2].

مناهج الطريقة الرحمانية هو التطبيق العلمي للشرع قولا وعملا وأخلاقا ذلك بإصلاح ظاهر السالك وباطنه ذلك بصحبة الشيخ الوارث المربي الذي لا يكتفي بتعليم مؤيده ومورد ينه بصورة نظرية بحتة وإنما يؤخذ بيده لتطبيق أحكام الشرع عمليا ثني عليه إذا أحسن ينبهه إذا زل يتفقده إذا غاب ويذكره إذا نسي يزكي قلبه إذا نسى، يحنو عليه يحبه محبة الوالد لولده قاصدا بذلك وجه الله تعالى بذلك يكتسب المؤيد الصفات الحميدة معرفة الله ويداوي عيب أفات نفسه [3].

وقد حملت الخلوتية في طياتها الكثير على التصوف فقد تحدثت عنه عن أهل الدائرة وأهل التصريف، ومراتب الغوث والقطب وحول ذلك مما يتعلق بأصول التصوف التي أصبحت بدورها أصولا للطريقة الرحمانية ويذهب بعض المؤرخين إلى أن طريق الذكر عند الرحمانيين وهو أمر جعلهم يرون أن محمد بن عبد الرحمان قد استجاب فعلا لدعوة شيخه في الذهاب إلى الهند لان أمر الشيخ يجب أن يطاع [4] .

---

[1] - Octave Depont , Xavier Coppolani, référence antécédent, p 385.

[2]- سلطان الأسود، الطريقة الجامعة الخلوتية الرحمانية، الموقع الالكتروني: http://www.dalraleman.com/ بتاريخ: 2009/03/16.

[3]- المرجع نفسه.

[4]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 507.

للطريقة الخلوتية الرحمانية الجامعة أركان سبعة هي: الحب، الامتثال، الذكر ، الفكر، الصمت،العزلة(الخلوة)،والصوم وأصول هذه الأركان في كتب الله سنة رسوله – صلى الله عيه وسلم– وسيرة اله وأصحابه والسلف الصلح رضي الله عنهم أجمعين[1].

قد تتبع الرحمانيين هذه الأركان في إلقائهم للذكر كما يرددون في حلقات ذكرهم اسم الله بالتدريج إلى أن يصلوا إلى حالة الحال وهو درجة منة الانجذاب الوجد يمارسها المتحلقون بصوت جماعي بقيادة الشيخ آو المقدم ويتمثل إعطاء الورد عند الرحمانيين بالتعوذ من الشيطان الجيم والاستغفار التشهيد وقراءة الفاتحة وبعض الأدعية ويطلب من المؤيد أن يذكر الله كثير أناء الليل وأطراف النهار وان كرر الشهادة من عصر يوم الجمعة إلى عصر يوم الخميس أي ستة أيام سواء كان المرء على طهارة أو غير طاهر المطلوب منه أيضا قراءة الصلاة الشاذلية هي: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه بعد عصر يوم الخميس إلى عصر يوم الجمعة ثم يكرر الشهادة من عصر الجمعة إلى الخميس التالي وهكذا طوال حياته[2].**(انظر الملحق رقم 1 ص: 117)**

وقد كان الطريقة الرحمانية دورا هاما في نشر التعليم والدروس الصوفية بين الناس كما عملت على نشر الثقافة الإسلامية والحفاظ على مبادئ القران الكريم وبذلك الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الإسلامية طيلة عقود من الزمن كما ساهمت في إنشاء زوايا تابعة لها تقوم على إطعام المساكين وعابري السبيل كما لعبت دورا كبيرا في الفصل في بعض القضايا الاجتماعية فض النزاع بين الأطراف المتنازعة وغيرها .

أهم المناطق التي انتشرت فيها الطريقة الرحمانية انتشارا كبيرا هي وسط وشرق وجنب الجزائر وفي منطقة الجريد بالقطر التونسي ويعد الفضل في ذلك إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي الرحمانية، وأكثر أتباع الرحمانية من الطبقات الشعبية الفقيرة من العمال وفلاحين تجار صغار وهي الفئات التي تستحمل دائما العبء الأكبر من التضحية في الأوقات الصعبة وهذا من أهم العوامل التي جعلت الطريقة الرحمانية تنتشر بسرعة في الوسط الجزائري وتحتل المكان البارز فيه[3].

[1]- سلطان الأسود، المرجع السابق.ص63

[2]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص508.

[3]- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق،ص 158.

المطلب الثالث : الزوايا الرحمانية بالمنطقة

وقد انتقلت الطريقة الرحمانية على وجه الخصوص الى منطقتنا عن طريق الشيخ سيدي بن عزوز البرجي الذي هو أحد تلاميذ سيدي امحمد بن عبد الرحمن، فبعدما قضى سيدي بن عزوز مدة طويلة لدى شيخه، ولظروف الشيخ أمره بأن يكمل مشواره عند سيدي عبد الرحمن باش تارزي بقسنطينة، وكان الأمر كذلك، حتى أجاز له مشايخه نشر الطريقة الرحمانية الخلوتية، فذهب الى مسقط رأسه . البرج . قرب مدينة طولقة، وأسس زاويته التي تخرج منها الكثير من فطاحلة العلم والتصوف، فكان من تلاميذه الشيخ سيدي علي بن أعمر والشيخ المختار والشيخ سيدي عبد الحفيظ الخنقي، وانتشرت بهؤلاء الطريقة الرحمانية في المنطقة أيما انتشار، وخاصة في منطقتنا، أما الناحية الشرقية فقد بلغت مشارف تونس، وهناك زاوية لابنه الشيخ مصطفى بن عزوز في مدينة نفطة، أما من الناحية الغربية وخاصة بعد وفاة الشيخ بن عزوز، إذ أصبح الشيخ الروحي للطريقة الرحمانية الخلوتية الشيخ المختار بن عبد الرحمن البخليفي، والذي تتلمذ على يديه كل من الأستاذ الشيخ سيدي محمد بن بالقاسم الهاملي والشيخ سي الشريف بن لحرش، والشيخ عبد الرحمن النعاس وتخرج من زاويته كذلك الكثير أمثال الشيخ الطاهر طاهري، والشيخ نعيم النعيمي والشيخ محمد بن العابد الجلالي والشيخ صالح سأكري والشيخ الصادق رحماني عبد الرحمن العقوني وأبو القاسم بن امشيه لغويني، وبولرباح بن المحفوظ السعداوي، وحمد بن رابح لمحمدي العقوني، ويوسف بن محمد لعوري، والطيب[1] بن فضل سحاري اولاد خليف بجبل الناظور تيارت، محمد بن مرزوق الرحماني بنواحي بوغار، وأحمد بن معطار، وله أشعار كثيرة في مدح شيخه المختار، وسي عبد القادر بن ابراهيم لمحمدي البوذيني، والحاج المختار بن خليفة العيساوي الحدباوي، والحاج برابح العلاني نواحي بوغار، ومحمد بخوش الجابري البيرين، أحمد بن الحمروش اليحياوي والشيخ عطية بن خليف الفرجاوي، دون أن ننسى العلامة الشيخ سي لخضر بن أخليف وابنه العلامة سي عبد الحميد من عرش أولاد أم الاخوة.

1-زاوية سي الشريف بن الأحرش

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق،ص 159

عملا بالإذن الذي عهد إليه به شيخه المختار بن عبد الرحمن . رحمه الله . بدأ الشيخ الشريف بن الأحرش بناء زاويته سنة 1853م ، و استمر البناء عامين ، و تجسد الحلم نهائيا سنة 1855م ، و أرخوا لذلك بالنقش الموجود أعلى المدخل الرئيسي .

بنيت الزاوية بطراز عربي أصيل ، لكن نلمح فيها أن البناء لم يكن هدفا في حد ذاته ، بل كان حصن الثقافة الإسلامية هو الهدف .. تدخل إذا اجتزت الباب الخارجي ساحة كبيرة تطل عليها أجنحة ثلاثة ، مزدانة بالأقواس المعروفة في العهد التركي .. بها غرف مخصصة للقراءة و التدريس .. إنه ذات المكان المثير للنقائض من حيث ذكريات الهلع و الخوف أيام الهيمنة الفرنسية .. و ذكريات الصفاء و الطمأنينة في الجلسات الخلوتية .. هيبة الشيخ و أشياؤه .. مرقعات الدراويش .. سخاء الأثرياء .. مهرجان القراءة و التدريس .. قعقعات الآنية حاملة الوعد بطعام متجدد .. فالزاوية دار الشيخ .. مدينة الطلبة .. مأوى المحتاجين .. مقصد ابن السبيل .. و أمسيات الحديث الصوفي المبدع حول نار الوجد و الحلول .. و المكتسي بأحلى غموض .. إليها يهرع الجمال .. و منها ينفر القبح .. فهي بيت الله .

و قد كانت الزاوية تحوي عددا هائلا من الطلبة ، و تأوي عددا كبيرا من أبناء السبيل ، و كان ينادي في كل مساء و عندما تغلق المدينة أبوابها .. أن أيها المحتاجون اهرعوا إلى الزاوية .. أيها الجائعون هلموا إلى الزاوية .. أيها الخائفون فروا إلى الزاوية .. فإذا كانت المدينة تغلق أبوابها ، فإن للزاوية أبواب لا تغلق [1].

زاوية سي شريف بلحرش على يمين المسجد العتيق بحي البرج ...صورة ملتقطة سنة 1960

لكن ، لا يجب أن ننسى المخلصين الذين مازالوا إلى يومنا هذا يحافظون على تاريخ الزاوية ، و يريدون لها أن تعود إلى سالف عهدها .. أو على الأقل أن تكون معروفة .. بها متحف يضم أشياء الشيخ الخليفة ووثائقه ، و بها قاعة للمحاضرات أو لإنجاز البحوث .. هؤلاء المخلصون هم من عائلة الشيخ قد تبرعوا بأجنحة مما يملكون من الزاوية لفائدة التراث و الثقافة و السياحة .. نذكر منهم الشيخ زين العابدين بن الأحرش . رحمه الله . الذي تطوع بغرفتين من الزواية .. و أفراد عائلة محي الدين بن الأحرش ، الذين تطوعوا كذلك بغرفتين .. هذه الغرف الأربع إذا استغلت أحسن استغلال ، فستكون كافية لبعث تاريخ الزاوية .. و

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق،ص 161

تاريخ الشيخ .. و ستكون عونا للباحثين و المؤرخين لكتابة التاريخ الحقيقي للمنطقة ، و من ثم التاريخ الجزائري المعاصر

الأمازيغ (ترحمنيت).

2-زاوية الشيخ النعاس

الذي يرجع نسبه إلى أولاد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. أما جده من جهة الأم فهو الشيخ الفاضل عبد القادر بن طمار صاحب الأسرار النورانية والفيوضات الربانية، أحد شيوخ الزوايا الرحمانية في ربوع أولاد نائل ، كان معروفا بالكرم والجود و العلم والمعرفة الذي يلحق نسبه إلى عرش أولاد أم هانيء[1].

مولده:ولد في سنة 1860م، نشأ وترعرع في حجر والده حيث تربى في كنف الحنان والمودة محفوفا بالرعاية الأبوية في جو روحي وعلمي وفي وسط رواد الزاوية من طلبة علم ومعرفة، حيث قرأ القرآن وأجاد حفظه على يد الشيخ السعيد بن إبراهيم في سن مبكرة ثم شرع في دروس الفقه والأحاديث والتفسير وعلم الميراث وعلم الفلك على يد نخبة من العلماء أبرزهم الشيخ آدم الدلماجي، دفين قبة والده الشيخ النعاس، ثم الشيخ مهني بن الوناس. وبعد ذلك و بتوجيه من والده انتقل إلى زاوية الشيخ محمد بن عبد الله (مولى الشرشارة)، فأكمل دراسته وأخذ عنه مبادئ وآداب في طريق القوم. عاد بعدها إلى زاوية أبيه أين وجد أباه قد عين السيد القاضي المختار بن علي مدرسا بالزاوية، حيث كان معروفا بمكانته العلمية خاصة في فن الخطابة والبلاغة، وفن البديع وعلم الأصول والنحو والصرف فلازمه وأخذ عنه نصيبه من العلم خاصة في هذه الاختصاصات. تلكم هي بعض النقاط المضيئة في حياته[2]. الدراسية.

أما في الجانب الروحي وآداب الطريق، فإن والده أحاطه بعناية كاملة ورعاية سامية، وذلك كإشارة منه في المهمة التي تنتظره وهي: رئاسة الزاوية، وخدمة المخلوقات. وفي هذا الشأن وجهه لأخذ العهد عن الشيخ محمد بن أبي القاسم، فأخذ عنه ونصحه بأن يلازم أباه ويُخلص في خدمته ، وكان حريصا على تلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام الأيام التي ورد فضلها في السنة النبوية، وملازما لحلقات الذكر.

[1] سلطان الأسود، المرجع السابق.ص68

[2] - أبو بكر محمد الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح محمد أمين السوادي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1980، ص 69

أخلاقه: كان قليل الكلام، إلا في مذاكرة الإخوان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جدي في كلامه قوي الشخصية لا يحب المزاح ولا يميل إلى كثرة الكلام، يرى عليه هيبة العلماء العاملين، وأخلاق الأتقياء الصادقين، يتصدر المجالس، ويذاكر الجالسين، يحترمه العلماء والأمراء، إلى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة التي شهدله بها الجميع.ومن إشارات أبيه في التزكيةله وتعيينه فيما بعد علىرأس الزاوية:أبرزها ما كان يخاطب الشيخ عبدالرحمان النعاس به الأخوان ومقدمي الزاوية والطلبة حيث كان يقول لهم إن أخاكم محمد فقد إحدى عينيه ثمنا لخدمة الزاوية وتسيير شؤونها والإشراف على تنظيمها والسير في طريق منهاجها.كان يرسله الشيخ ممثلاله في بعض اللقاءات التي كانت تتم بين مشائخ الزوايا. وكان في حين سفره يتركه نائباله في الزاوية والإشراف علىخدماتها .كل هذه المؤشرات دفعت مشائخ الزوايا و الأخوان و تلاميذ الزاوية وافرد عائلته يزكونه بإجماع لتولى رئاسة الزاوية مباشرة بعد وفاة والده الشيخ عبد الرحمان النعاس في سنة 1907م[1].

المهام التي كان يقوم بها كشيخ للزاوية:

قام بواجب خدمة الطريق و الالتزام بآدابها و سلوكها و رعاية روادها من طلبة وأيتام و معوزين و كل من تقطعت بهم سبل الحياة ، من إيواء وإطعام وتقديم مساعدات لمن يحتاجون ذلك وكان أيضا يقوم بنفسه بإلقاء الدروس الفقهية من عبادات و معاملات و تفسير للقرآن الكريم وعلوم الحديث للطلبة الذين كانوا يأتون من جهات بعيدة و يقيمون بشكل داخلي في الزاوية بمعدل حصتين في اليوم بالإضافة إلى درس عام في المسجد بعد تأسيسه يحضره عامة الناس وماكان يقوم به أيضا إشرافه شخصيا على قراءة الكريم الراتب وحلقة الذكر وكذلك القيام بمهام تتعلق بمراقبة مداخيل الزاوية من موارد الأوقاف وغيرها. وفي المجال الاجتماعي كان يقوم بإصلاح ذات البين وفك النزاعات و الخلافات بين الناس وكان يحضى بالتقدير و الاحترام لدى الجميع مما أهله أن يستعان به حتى بعض مشائخ الزوايا في القيام بوضع حد للخصومات التي يصعب حلها فعلى سبيل المثال الشيخ محمد بن بن عزوز "شيخ زاوية الاحداب"ساعده في حل القضايا الشائكة التي عرضت عليه.

[1]- أبو بكر محمد الكلابادي،، المرجع السابق، ص 73.

كما ساهم في إخماد بعض الفتن الطائفية التي كانت تحدث بين القبائل و كان يغذيها الاستعمار الفرنسي بوسائل مختلفة و ذلك لتحقيق أهدافه و مخططاته الجهنمية.

أما الإنجازات التي تحققت في عهدته فتتمثل في ما يلي

:بناء مسجد من ماله الخاص الذي ورثه من تركة أبيه حيث أشار إليه بعض الإخوان لتوسيع المسجد فقال لهم بل أحدد مساحته وفق الغلاف المالي الذي أملكه.

إقامة صلاة الجمعة بعدما توفرت شروطها وكان يؤم المصلين بنفسه

توسيع الزاوية وبناء المرافق الخاصة بالطلبة.

تحديد و تنظيم تفضل الحبوسات التابعة لممتلكات الزاوية

نشاطه

تغييره للسوق الأسبوعي في مدينة دار الشيوخ من يوم الجمعة إلى يوم السبت وذلك لتحقيق هدفين:

أولا :لكي لا يشتغل الناس بقضاء حاجتهم من السوق على أداء صلاة الجمعة.

ثانيا :قطع الطريق أمام الجالية اليهودية حتى لا تتمكن من القيام بنشاطها التجاري لذلك لكون يوم السبت مقدسا عندهم[1].

كما قام أيضا بتغيير تسمية المدينة– من حوش النعاس إلى دار الشيوخ في السجل الرسمي الذي كان آنذاك تدون فيه أسماء المدن والأحياء.

وذلك لغايتين:

أولا :تأخذ التسمية طابع الشمولية لكل المشائخ الموجودين بالمنطقة كالشيخ الحدي و بن بيصرة و الشيخ محمد بن برابح ومن ضمنهم أيضا الشيخ النعاس وكلهم من قبيلة أولاد العقون .والصحاري وأولادبن عليا وأولادالغويني .....الخ

ثانيا :كإجراء احتياطي فيما يتعلق بملكية الأراضي بموجب التسمية التي قد تتخذ كقرينة لذلك وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ذكاء الرجل وتفكيره الواسع و صفة الورع وإبعاد الشبهات حتى لا يتحمل– رحمه الله –أي مسؤولية حيا أو ميتا[2].

الزاوية الطاهرية بمسعد

[1]أبو بكر محمد الكلابادي،، المرجع السابق، ص 74

[2]- الفرد بيل،الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمان بدوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ص 96.

تأسست الزاوية الطاهرية بمدينة مسعد وسميت باسم مؤسسها الشيخ الطاهر بن محمد سنة 1832 تقريبا بعد تلقيه العلم واصول الدين والفقه والحديث في الزاوية العثمانية بطولقة والزاوية المختارية بأولاد جلال ، وأذن مشيخة الزاويتين له ، فركزها على تعليم القرآن والمحافظة على الأخلاق والتفقه في الدين ،وواصل سيره في طريق السنة ،واستمر داعيا الجمع الغفير للتعليم حتى توفي سنة 1891م ثم خلفه عليها اخوه الشيخ سيدي يوسف وكان سي عبد الرحمان بن الطاهر معينه في شوؤن الزاوية وفي هذه الأثناء ذهب سي عبد الرحمان في زيارة عدة زوايا عبر مختلف قطر الوطني وبالأخص التي تتبع الطريقة الرحمانية، وواصل سيدي يوسف عمله فازدهرت الزاوية بحفاظ القران وتخرج منها جماعات واهتدى بهديه خلق كثير ،وواصل المسيرة ،وكانت الزاوية أنذاك لها مقران صيفا وشتاء حسب الظروف المواتية ،وكانت مأوى للمستضعفين واليتامى والارامل والعجزة والمساكين ،ولايدخر شيئا يضن به عن المحتاجين من هدايا وهبات وتبرعات المحسنين ،وكل ذلك ينفق على الطلبة والقاصدين والمقيمين ،ولم يأل جهدا في النصح والصلح بين المسلمين ،واستمر في جهاده حتى اتاه اليقين سنة 1917م.وتولى شؤون الزاوية بعده سي عبد الرحمان بن الطاهر.

نبذة عن حياة سي عبد الرحمان بن الطاهر:

هو الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن قويدر النائلي من عرش أولاد الاعور فرقة النعايم، وأمه صالحي سلمى بنت الصالح من نفس الرفقة:

ولد سنة 1874م بالمنطقة المسماة ضاية زخروفة حوالي 50كم شرق مدينة مسعد، وقد عاش وترعرع في كنف أبيه وعميه الشيخان سي يوسف وسي الطاهر فهو من العائلة الطاهرية صاحبة الزاوية المشهورة في ولاية الجلفة، والكثير من الناس ينسبونه إلى عمه بقولهم " سي عبد الرحمن بن سيدي الطاهر" والحق غير ذلك فالشيخ سي الطاهر لم يخلف ولكن هو الأكبر في إخوته وهو من أسس الزاوية الطاهرية، ونظرا لقدره ومكانته نسبت ذرية أخويه إليه وهو ما يعرف بالعائلة الطاهرية التي تحمل اسمه إلى اليوم وهي عائلة كبيرة وعريقة.

أما عن طفولته ونشأته فقد تربى في البيت الكبير مع أعمامه وكانت الزاوية آنذاك تحفظ القرآن الكريم وتدرس الفقه واللغة العربية خاصة وأن الجزائر كانت في تلك الفترة ترجع تحت

وطأة الاستدمار الفرنسي الذي أراد أن يطمس الهوية الإسلامية والعربية بأن يجعلها مقاطعة فرنسية لأجل ذلك وجدت الزوايا لتلعب هذا الدور الرائد.

وعلم التصوف من شيخه سي محاد بن بلقاسم ليعود بعد ذلك إلى الديار، وإن لم يكن لعائلته آنذاك منزل تستقر به وإنما كانت الزاوية تنتقل في رحلتي الشتاء والصيف بين الصحراء والتل .

التي تتبع الطريقة الرحمانية، و شيخه سي عبد الرحمان النعاس وكانت له مساجلات ومناظرات مع بعض العلماء والمشائخ خاصة في تقرت ونواحيها

تزوج الشيخ سي عبد الرحمن أكثر من زوجة وأنجبن له ذرية وله عائلة كبيرة الجذور اليوم، ولعل أشهر أبنائه الشيخ المسعود والشيخ سي عمر والشيخ سي عثمان والشيخ سي بوبكر والشيخ سي محمد رحمهم الله جميعا.

مما اشتهر به الشيخ سي عبد الرحمن هو رفضه المطلق للمستعمر في الجزائر وفي غيرها من البلدان الإسلامية وكان له باع وكفاح طويل امتد طول حياته واختتمها بالشهادة في سبيل الله لأجل هذا الهدف، حيث في مطـلع القرن[1].

العشرين قام بمراسلة الملك الشيخ السنوسي في ليبيا يدعوه إلى الجهاد والنهوض من أجل توحيد القوى لطرد المستعمر من بلاد المغرب العربي وأرسل الرسالة مع سي المبروك بن هبال من رفقة أولاد لخضر الذي سلم الرسالة شخصيا للشيخ السنوسي وقام بالرد عليه بأن الوقت لم يحن بعد، وهاته الرسالة كانت موجودة عند الشيخ سي محـمد الطيب

في مكتبته بواد الجدي إلى غاية سنة 1956م حيث وقعت للشيخ مشاكل مع فرنسا لتأييده للثورة ولجيش التحرير فأحرقت مكتبته وفيها الرسالة، ثم راسل الشيخ سي عبد الرحمن أيضا الشيخ المجاهد والمقاوم عبد الكريم الخطابي بالمغرب يدعوه لما دعا إليه الشيخ السنوسي

في سنة 1914م وغداة اندلاع الحرب العالمية الأولى قامت فرنسا بالتجنيد الإجباري للجزائريين وذلك لإشـراكهم

في الحرب كما قامت بفرض ضرائب مجحفة عليهم، فكان الشيخ سي عبد الرحمن من الأوائل الذين عـارضوا هذه السياسة ودعا إلى محاربة فرنسا وطردها، وبسبب هذا الموقف من فرنسا سجن في الجلفة ثم فرضت عليه الإقامـة الجبرية في نفس المكان وعفي عنه لكنه

[1]- أبو بكر محمد الكلابادي،، المرجع السابق، ص 75.

بقي في سياسته المناهضة لفرنسا فسجن ببسكرة ثم الجزائر وأطلق سراحه ولما استمر على موقفه نفي إلى المغرب سنة 1916م وبالضبط في مدينة طنجة وكانت له هناك قصص ومآثر ومما يقوله

في إحدى قصائده التي نظمها هناك:

قدرالله أن أعيش غريبا **في بلاد أساق كرها إليها

وبفكري خدرت المعاني **ضربت آيات الحجاب عليها

ثم عاد سنة 1918م إلى الجزائر لكنه لم يجد عمه سي يوسف الذي توفي سنة 1917م ليتولى هو شؤون الزاوية وكان له قبل ذلك فرع زاوية في "المكيمن" قرب مدينة مسعد، وله أيضا في الصحراء مساكن مثل بريش والقويسي والقعو وغيرها، ثم سجن في الأغواط وأطلق سراحه، ولما كثر استفزازه للفرنسيين في تلك المنطقة لما كانت لديه فرقة مسلحة تجوب الصحراء حيث اشتبك سنة 1923م مع قافلة فرنسية بمنطقة "طزيوة" نواحي مدينة تقرت حيث قتل أحد الجنود الفرنسيين و تعرض للمطاردة وصار مطلوبا لدى فرنسا وهدمت منازله الموجودة في الصحراء انتقاما منه، وألقي عليه القبض في تقرت مرة أخرى لكن أطلق سراحه حيث كفله أحد أعيان المنطقة، وللمرة الأخيرة ألقي عليه القبض سنة 1930م وحكم عليه بالإعدام يوم 14 يوليو 1931م[1] ليقدم كقربان بمناسبة العيد الوطني الفرنسي الشيخ سي عبد الرحمن كان شيخا زاهدا تقيا ورعا ورجلا شجاعا شهما وسخيا كريما وهذا ما جعله معروفا بالمنطقة وله أنصار وإخوان من كل القبائل فقد كسب القلوب بما يملكه من أخلاق ولعل الشهرة التي يحظى بها إلى غاية اليوم لهي خير دليل على ذلك، وفي الجانب الآخر فقد كان أديبا وشاعرا وله قصائد عدة سواء في الشعر الفصيح أو الشعر الشعبي (الملحون) وقصائده موجودة إلى اليوم وضاع منها الكثير، وفي شعره تكلم عن جميع نواحي الحياة، فتارة يصف الناس وتارة يصف الطبيعة والبلدان وتارة يتكلم عن الدهر وتقلباته، وتارة يقول قصائد في الزهد والحث على الذكر وغيرها من المجالات.

عرف الشيخ سي عبد الرحمن باتباعه للحق ومجانبته للباطل وكان لا يخش في قول الحق لومة لائم، ولم يكن مبتدعا بل كان صوفيا يتبع الشريعة والحقيقة ويرفض المنتسبين لهذا الطريق من الرعاع المبتدعة الذين ألصقوا الشبه بهذا العلم، ولعل أبرز ما يدل على ذلك

[1]- أعمال الملتقى الوطني الأول و الثاني حول دور الزوايا أبان المقاومة و الثورة التحريرية, المرجع السابق, ص 183

قصة شهيرة تروى عنه أنه كان يسير مع مجموعة رفقائه فقصدوا شيخ إحدى الزوايا الذي أخذ الإذن بإقامة الزاوية دون أن تكون له مؤهلات تسمح له بذلك، و صلى بهم هذا الشيخ المغرب والعشاء سـرا! فهذا الأمر أثار غضب الشيخ سي عبد الرحمن وذهب إلى مشائخ الزاوية التي أعطت الإذن لذلك الشيخ وعاتبهم عـلى ذلك وقال لهم بأن ذلك عبث بالدين وتحريف للطريق الصحيح.

المبحث الثاني : الطريقة الدرقاوية و أهم زواياها

المطلب الأول : التعريف بالطريقة الدرقاوية

يقال: "إذا كانت بلاد المشرق بلاد الرسل والأنبياء، فإن بلاد المغرب هي أرض الصالحين والأولياء". عرفـت الجزائر الكثير من الطرق الصوفية ، تجاوزت الثلاثين طريقة ، قاد شيوخها ومقدموها مقاومات متعددة ضد المحتل الغازي. ومن بينها الطريقة الدرقاوية ، فما أصولها وتعاليمها وما هي مواقفها من الإحتلال الأجنبي؟.

1- تعريف الطريقة الدرقاوية الدرقاوية طريقة صوفية سنية شاذلية، ظهرت في المغرب الأقصى. وأول من دعا إلى مذهبها ، أحد أفراد جماعة العمرانيين الذين استوطنوا شمال غرب مدينة فاس، وهو " الشريف إدريس" المسمى علي بن عبد الرحمان الفاسي المدعو الجمل[1]، الداعي إلى تعاليم الشاذلية والعودة إلى منابعها الأصيلة وهو المؤسس الحقيقي للطريقة الدرقاوية. وقبيل وفاته، نقل التعاليم الروحية لتلميذه محمد العربي الدرقاوي (1823-1737/ — 1239 -1159)[2]

وينسب إسم الدرقاوية إلى قبيلة الدرقة التي ينحدر منها الجد الأول أبو عبد الله محمد بن يوسف أبو درقـة". أطلق إسم درقاوة على أتباع مولاي العربي الدرقاوي الذين ينتمون إلى أولاد عبد النبي كفـرقي السـوس الأقصى السوس الأدنى بساحل دكالة' وفرقة ثالثة بمدينة آسفي، والكثير منهم بجبال الزيتون كقبيلة بني زروال منشأ مولاي العربي الدرقاوي"[3].

وتعتبر الزوايا الدرقاوية المنتشرة في المغرب والجزائر وتونس و ليبيا ومصر والسنغال ، فروعـا للزاوية الأم ببوبريح". وكل مؤسسي : تلك الزوايا يتبعون تعاليم العربي الدرقاوي[4].

---

[1]- كمال بيروم، المرجع السابق، ص 61.

[2]- أعمال الملتقى الوطني الأول و الثاني حول دور الزوايا أبان المقاومة و الثورة التحريرية, المرجع السابق, ص 183

[3]- كحول عباس ، دور الزوايا الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالتراب الشرقي 1849-1859 ، رسالة مقدمة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ المعاصر ، تخصص المقاومة الوطنية و الثورة التحريرية ، 2010-2011 ، جامعة الجزائر ص 67.

[4]- كمال عباس، المرجع السابق، ص 69

1-2: الذكر والورد عند الدرقاوية

لقد حث الله تعالى المؤمنين على الإكثار من الذكر فقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا"، لأن الذكر طريق لاطمئنان القلوب وراحة للنفوس من كل هم وضيق؛ وقال أيضا:" الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المعاني الروحية فقال:" لكل شيء صقال وصقال القلوب ذكر الله تعالى". وعليه اتخذ شيوخ الطرق الصوفية مجموعة أذكار وأوراد ، أوصوا مريديهم الالتزام بها، ومنها ما وضعه شيوخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية.

إن الذكر في رأي أبي الحسن الشاذلي أربعة أنواع ؛ ذكر لطرد الغفلة وآخر لذكر النعيم أو العذاب وثالث يتذكر فيه المرء أن الحسنات من الله والسيئات من النفس، ورابع يذكر فيه الله تعالى عبده وليس فيه للعبد متعلق أما مراتبه فهي :

1- ذكر باللسان: وهو ذكر العوام خوفا من نار الله عز وجل وطمعا في جنته.

2- ذكر بالقلب: وهو ذكر الخواص وهي مرتبة الإيمان.

3- ذكر الروح : وهي مرتبة الإحسان، وهو أسمى غايات الذكر عند الشاذلية، يهدف الى التقرب من الله تعالى؛ بالتزام المريد مجموعة أذكار وأوراد، للتغلب على نزعات النفس البشرية، وترويضها والترويح عنها' بقصد الترقي في الدرجات ، للوصول إلى الفتوح والإلهام[1].

وقد ربطت الطريقة الدرقاوية بين الذكر والمذاكرة ؛ إذ تذكر المريدين المبتدئين بقواعد الشريعة و التربية والسلوك ومذاكرة العلماء والفقهاء[2].

اختار العربي الدرقاوي أورادا شبيهة بأوراد الشاذلي ، لكنه خالفه في طريقة التجريد وخرق العوائد[3]. هذا وللطريقة الدرقاوية ثلاثة أنواع من الأوراد حرص العربي الدرقاوي على المواظبة عليها وإلزام المريدين بها وهي كالتالي:

1- ورد لازم: يلازم المريد ولا يفارقه، وله فترات معينة في اليوم ، يردد فيه المريد ما يلي: "الاستغفار" و"الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم" ويقول "لا إله إلا الله .

[1]- نفسه، ص 69.

[2]- بوكسية محمود ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية مواجهة الزوايا الرحمانية للسياسة الاستعمارية وأشكالها(1830- 1954)، العدد 8 ، جانفي 2015، المسيلة، ص 160

[3]- بوكسية محمود ، ص 162.

وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، كل ذلك مائة مرة، ثم يقرأ سورة الإخلاص ثلاثا والفاتحة و جزءا من القرآن الكريم ثم الدعاء....

2- ورد غير لازم لا يقدم إلا لمن طلبه، لتدعيم الورد اللازم وغير محدد بأوقات معينة ، ومنها الصلاة المشيشية[1] والأحزاب الشاذلية[2]، و ذكر أسماء الله الحسنى فضلا عن أدعية نبوية أخرى.

3- ورد دائم: يلتزم به المريد في جميع ظروفه ويقوم على ترديد قول "لا إله إلا الله"، التي يتدرج ذاكرها من توحيد الأفعال إلى توحيد صفات الله عز وجل إلى توحيد ذاته تعالى.

ويشترط في ذكر الله أن يكون في البداية على انفراد، تفاديا للوساوس النفسية، بهدف الوصول إلى اليقين، بالتزام التقوى والورع، مصداقا لقوله تعالى :" وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " كما يراعى فيه أيضا التفكير في عظمة الله و آلائه ؛ فالاستغراق في الذكر يرسخ تصور الأحادية. وعموما تعتبر أوراد الطريقة الدرقاوية اقتباس من الطريقة الشاذلية الأم.

المطلب الثاني : المبادئ والتعاليم والشعارات.

بدأ انحراف الفكر الصوفي يتزايد، بعدما طال الأمد على دعوة الشاذلي . ولعل انسياق الحياة المجتمعية ، قد مثل أبرز المظاهر السلوكية التي كشفت الخروج عن تعاليم الشاذلية، التي كانت تبيح التنعم الحاصل عن الأسباب وليس عن الكسل.

لقد عمل العربي الدرقاوي على العودة بأتباعه إلى الإسلام الأول، إذ كان الهدف من تأسيس طريقته هو إصلاح الخلل الذي طرأ على تعاليم الشاذلية[3]، التي لم تحرم النفس من نعم الحياة مع الكسب والعمل. غير أن أتباعها انحرفوا عن هذا المبدأ فأخذوا بحرية الاستمتاع بالطيبات من الدنيا[4]. وتحولوا من فكرة العمل إلى فكرة التواكل، فجاء مولاي العربي الدرقاوي ليطهر الفكر الصوفي الباطني . من براثن الخرافة والوهم، وينبه أتباعه إلى عدم الاغترار و الإفراط والغلو في الدين، والاكتفاء بظواهر العمل ودعاهم إلى التزام الطريق

[1]- كمال عباس، المرجع السابق، ص 71
[2]- كمال بيروم، المرجع السابق، ص 65.
[3]- كمال بيروم، المرجع السابق، ص 67.
[4]- نفسه، ص 68

الصحيح ، القائم على سلامة الصدر وصفاء القلب؛ فقد كتب لأحد المدعين للتصوف المملوء بعيوب النفس قائلا:" كن سالم الصدر وانقص من صلاتك ... ومن سائر أعمالك، ولا تقم إلا بالمفروض ...إذ لا تنفعك كثرة أعمالك خبث قلبك[1] وباعتباره تصوفا عمليا وفرديا واجتماعيا ؛ فقد ساهم في الحياة السياسية حيث شارك الدرقاويون في دعم ثورات الدرقاويين ضد سلطة العثمانيين في الجزائر.

ويقوم التصوف الدرقاوي على مجموعة من المبادئ مثل مجانبة البدع والخرافات وإتباع الكتاب والسنة ، بصفته شعارا يجمع بين رجالات التصوف، ضمن المدرسة الصوفية الواحدة ورغم المثالي والتقشف والابتعاد عن الشؤون الدنيوية.

ويمثل الزهد وكسر النفس والتقشف والابتعاد عن الدنيا وزينتها، ضرورة يتعين انعكاسها في المظاهر السلوكية الخارجية للمتصوف الدرقاوي . بينما إسقاط التدبير والاختيار والتسليم بقضاء الله في جميع الحالات خيرها وشرها ، هو سر حياة المؤمن المتصوف .

محافظة الدرقاوية على أذكار الشاذلية وأورادها ، إلا أنها جددتها عن طريق الممارسات الصارمة والانضباط هذا وقد برزت مبادئ وأسس وتعاليم وقيم الطريقة الدرقاوية من خلال رسائل مولاي العربي ،وتتلخص في التسامح والحياد والمهادنة إزاء السياسة ، وخرق العوائد لكونها تدعو إلى تصوف عملي اجتماعي، يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية . ومن هذه التعاليم أيضا الالتزام بالعلم الظاهر والعمل بالواجب من المؤكد من نوافل الخيرات، وتوحيد الله عز وجل، وضرورة وجود شيخ للتربية والانقياد إليه ، والاستسلام للأقدار الإلهية، بمرجعية شرعية.

كما أكد الدرقاوي على الزهد في الدنيا و تعظيم الشيوخ والإخوان وعباد الله كلهم، والعزلة بشروطها الشرعية، والالتزام بالطريقة، والعبودية لله شرط الحرية، مع اجتناب الظلم، والتحلي بالخلق الحسن، وطلب العلم، ومخالفة النفس ،والاستخارة في كل الأمور، والدعوة لإحياء الطريقة و التزام الذكر أو الورد جهرا[2].

ورغم أن هذه المبادئ لم تكن مألوفة في الوسط الصوفي والديني بالمغرب ، إلا أنها قد أعطت دفعا جديدا للشاذلية ، لبقائها من الناحية الفلسفية تلميذة لها[3]، ومكنتها من الانتشار

[1]- بوكسية محمود ، ص 165
[2]- كحول عباس، المرجع السابق، ص 73.
[3]- كمال بيروم، المرجع السابق، ص 69.

على حساب نفوذ طرق صوفية تقليدية متجذرة ،على امتداد القرن التاسع عشر وما بعده، في المغرب وخارجه. وإذا كانت المبادئ والأسس التي قامت عليها الطريقة الدرقاوية لا تثير جدلا عند المتصوفة ، فان الشعارات التي تبنتها جعلتها تختلف عن غيرها من الطرق الصوفية ، التي لم تكن تتميز بزي أو شعار يعكس صورة مريديها في التصوف والزهد؛ ذلك أن الطريقة الدرقاوية قدمت إضافات مست مظاهر السلوك ، وبذلك خرجت عن المألوف في لباس أتباعها وفي أسلوب معاشهم ، بل صارت متهمة من طرف غيرها بالبدعة والغلو، رغم أن شيوخها كانوا يستندون دوما إلى مبررات شرعية، للدفاع عن اختياراتهم. لقد أثارت هذه المظاهر فضولا خاصة عند الدارسين في الحقل الصوفي. وبات السؤال ملحا في فهم أهم شعارات الطريقة الدرقاوية وأبعادها . ولعل أهم شعاراتها هي:

أ- **لبس المرقعة:** حملت تسمية الخرقة أو الدربالة ، وهو الثوب المرقع بعدما أصبح باليا، وغالبا ما يكون من الصوف الخشن وهذا الشعار دليل المسكنة والفقر عند الدرقاويين وهو رمز لذلة النفس واحتقارها وتعبيرا عن الخشوع والتواضع، وهو تشبه بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]

ب- **السؤال:** لازم لبس المرقعة الإقبال على سؤال الناس وهو يستمد مبرره وغايته من الشعار الأول ؛فقد شدد شيوخ الدرقاوية على فضل الفقر عن الغنى عند كبار المتصوفة

ت- **المشي حفاة:** وقد استند المتصوفة إلى خطاب الله لسيدنا موسى عليه السلام حيث قال الله تعالى:" إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى "[2]. ولو أن هذا الشعار يعزز صورة الضعف والتواضع الذي يميز الدرقاويين.

ث- السبحة: وهي وسيلة للعبادة والذكر و التفكر، ويقولون إن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحملها .غير أن سبحة الدرقاويين أخذت شكلا خاصا فهي غليظة وثقيلة لكثرة وكبر حباتها ، تلف حول العنق .

[1]- نفسه، ص 74.

[2]- أحمد شريف الدرقاوي، المرجع السابق، ص 54

وهذا ما أخذهم عليه الكثير إذ وصفهم "المزاري" بقوله : "... وفي الحقيقة أنهم ليسوا من أبناء الدنيا ولا من أبنـاء الآخرة، وإنما هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا وأقدم حالة وأكذب مقيلا يكرهون الأولياء والعلماء"[1].

هـ – اتخاذ العصا: وهي سنة الأنبياء، وزينة الصلحاء، وعون للضعفاء ورمز للرحيل والسفر إلى الدار الآخرة ، وفيها اقتداء بنبي . الله موسى عليه السلام

و – الرقص: يرقص الدرقاويون ويتمايلون على اسم الله المفرد ويقولون أن جعفر بن أبي طالب كان يحتفي باسم الله بأداء الرقص.

يبدو واضحا أن هذه الشعارات تتوافق ومبدأ التجريد ،الذي يمثل جوهر الطريقة الدرقاوية ، وهو يتعدى الظاهر ليشمل الباطن؛ فمقام الفناء العزة والشرف وظاهره الذل و الإهانة .

وقد مثل هذا الفهم استثناء أريد له أن يكون القاعدة التي تؤهل الإنسان إلى أسمى مراتب التصوف. ولعل قـول العربي الدرقاوي "من كان أشد حبا الله كان أشد بغضا لنفسه"، يترجم مدلول الشعارات الدرقاوية.

– في الجزائر

بعدما أنتشرت الطرقية الدرقاوية في الجزائر ، كان لزاما عليها أداء واجبات رسالية هامة ، على رأسها حمل رايـة الجهاد والمقاومة؛ فإذا كان الدرقاويون قد ثاروا على الحكم العثماني في الجزائر[2]، فقد تباينت مواقفهم من الإحتلال الأجنبي الإسباني والفرنسي ؛ فمنهم من تصدى لهم بواسطة مقاومات وانتفاضات محلية ، بينما فضـل آخرون الهجرة للبلاد الإسلامية.

المطلب الثالث : الزوايا الدرقاوية

استقر موسى بن الحسن المصري سنة (1245هـ/ 1829–1830م بمدينة الأغوط ، في محاولة منه للتروي للطريقة المدنية ، واستقبل من طرف سكانها استقبال الفاتحين، بسبب تعطشهم للعلم والعلماء، واعتقادهم بكر اماته. انضم إليه عرش " الأحلاف" بالمنطقة وبنوا له زاوية ومنحوه وه أراضا وحدائق تعرف اليوم ب"زقـاق الحجاج". مكث بالمنطقة سنتين،

[1]- أحمد الشريف الدرقاوي، المرجع السابق، ص 62
[2]- بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 215.

يتردد على المدينة، ممتطيا حمارا صحبة بعض أتباعه فاشتهر ب" أبـو حمار تقربت منه العامة، وألتفت حوله.

وأعجبت بلحنه الشرقي الذي كان يؤدي به آذان الصلوات ،وكل ذلك تسبب في امتعـاض الزاويــة التيجانيــة ب"عين ماضي" التي رأت فيه منافسا كبيرا لها.

انتقل بعدها لمدينة مسعد بالجلفة أين رحب به سكانها أولاد نائل، وأسسوا له زاوية وأصبح لـه الكـ المريدين. ثم امتد نشاطه شمالا لمدينة قصر البخاري والمدية وعين مقاديم بمنطقة التيطري، من أهمهم ، الشـ بولنوار، الشيخ قويدر بن محمد، الحاج محمد بن عبد القادر،سي الطيب الكربوني، والحاج البشير بالبرواقية[1].

اتصل الحاج موسى بالشيخ العربي بن عطية مقدم الطريقة الدرقاوية في الونشريس، محاولا إقناعه بتأييد الجهاد ودعوة الإخوان إليه، ولكنه لم يفلح ومن أجل التشاور حول التصدي للفرنسيين بمدينة الجزائر، زار ابن الحسن المصري مدينة البليدة سنة 1833م، البركاني[2]، فحثوه على تجنيد عرب الصحراء وتحادث مع بعض أعيانها أمثال الحاج الصغير سي محمد بن عيسى لتقوية صفوف المجاهدين.

عاد الحاج موسى إلى الصحراء، واستطاع تعبئة بعض قبائل جنوب التيطري وعروش الجلفة ،مكونا جيشا وصـل تعداده حوالي 3000 فارس و2000 من المشاة في أفريل 1834م، وسار بهم صوب المدية، التي عسكر بالقرب منها، وطلب من سكانها الدعم لتحرير مدينة الجزائر، لكنهم تحججوا بقلة المئونة، فتقدم نحو أسوار المدينة وتصدى له السكان بمدفع قديم تعطل في أول طلقة ، فاعتبر السكان ذلك كرامة لصاحب الحمار[3].

[1]- نفسه، ص 216.
[2]- فتح ا الله بن الشيخ أبي بكر البناني، المرجع السابق، ص 169.
[3]- نفسه، ص 170

وفي هذه الظروف رأى الأمير عبد القادر أن فرنسا قد تصاممت عن تحركات موسى الدرقاوي، فحشد جيون النظامية، وقصد التيطري – بعد استنجاد سكانه بالأمير وأحمد باي لمواجهة موسى الدرقاوي، الذي استغل بدوره توقيع الأمير عبد القادر لمعاهدة "دي ميشال" في 26 فيفري1834 واعتبر ذلك تخليا عن الجهاد.

لذلك اتجه الأمير نحو منطقة المدية ، وعسكر في سفوح جبال"عوامري قرب جندل غرب المدية– في(شعبان 1250 هـ / أفريل 1835م) ، حيث دارت معركة بين قوات الطرفين، دامت حوالي أربع ساعات ،انتصر فيها الأمير، وانهزم الدرقاوي ، الذي فر مع فلوله مخلفا مائتين وثمانين قتيلا وعددا كبيرا من الجرحى والذخائر، ثم انسحب بعدها إلى مدينة مسعد رفقة قلة من أتباعه، و بدأ في تنظيم صفوفه لمواصلة الجهاد[1].

أما مقدمه قويدر بن امحمد ،فقد استسلم أمام بعض متعاوني فرنسا، مما أثر على مقاومة موسى المصري،الذي أصبح مطاردا من الجنرال "يوسف" ؛ ففر من مدينة مسعد، نحو قبائل بني يعلى في منطقة القبائل، حيث مكث ثلاث سنوات ،ثم توجه هاربا جنوبا إلى متليلي الشعانبة سنة 1848(69). وحين قرر الشيخ أحمد بوزيـان تفجير الثورة في منطقة الزعاطشة عام 1849، وإعطائها بعدا دينيا، اتصل بالعروش وشيوخ الطرق والزوايـا ومنهم ابن الحسن المصري الدرقاوي ، الذي رحب بالجهاد، فعرج على مدينة مسعد ، واصطحب معه حوالي ؛ ثمانين أولاد نائل[2].

قاوم الشيخ الدرقاوي ببسالة رفقة مجاهدي أولاد نائل و بوسعادة والمسيلة ممن التحقوا بإخوانهم في واحـة الزعاطشة[3]، وحاولوا فك الحصار المفروض على الواحة ، حتى أعطيت الأوامر من طرف القائد "هيربيون بإبادة سكان الواحة ،يمن فيهم النساء الشيوخ والأطفال، وتخريب المنازل وحرقها، وقطع أشجار النخيل.

[1]- نفسه، ص 170.
[2]- محمد بن محمد المهدي التلمساني، المرجع السابق، ص 95.
[3]- علي حرزم، المصدر السابق، ص 25.

ويذكر "دوباريلDe Baril " ، أن بوزيان وابنه وسي موسى الذين تم تتبعهم من منزل إلى آخر،قد قاوموا مقاومــة الأسود ، وبعد استعمال القنابل ضدهم قضي عليهم ، ونقلت رؤوسهم إلى الجنرال "هيربيون"، الذي تركهم عدة أيام على مرأى أعين الناس(75). لقد أساءت أعمال القمع إلى سمعة الجيش الفرنسي ،ورفعت من قدر ، حتى أن" بيلسيي ريموند" صرح : "لا أخاف إذ أقول بأن مجد المنهزمين فاق وغطى على مجد المنتصرين"[1]

المبحث الثالث : الطريقة التجانية و السنوسية

المطلب الثاني : الطريقة السنوسية

أولا : التعريف بالطريقة السنوسية

السنوسية دعوة إسلامية مشوبة بالصوفية ؛ ظهرت في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمالي أفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

•تأسست الدعوة السنوسية في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، بعد شعور مؤسسها بضعف المسلمين وتأخرهم دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، فأنشأ حركته التجديدية.

ومن أبرز شخصياتها:

. الشيخ محمد بن علي السنوسي 1202هـ . 1276هـ (1787 . 1859م) وهو المؤسس للدعوة السنوسية، وتنسب السنوسية لجده الرابع.

ونشأ في بيت علم وتُقىً. وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرِف فيما بعد بالحركة السنوسية.

وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية وإيقاظ الوسنان

[1]- نفسه، ص 25.

في العمل بالحديث والقرآن.

. الشيخ المهدي محمد بن علي السنوسي 1261 . 1319هـ (1844 . 1902م) خلف والده في قيادة الدعوة السنوسية وعمره اثنا عشر عاماً.

. الشيخ أحمد الشريف السنوسي ابن عم المهدي . ولد سنة 1290هـ (1873م) تلقى تعليمه على يد عمه شخصيًّا، وعاصر هجمة الاستعمار الأوروبي على شمال إفريقيا وهجوم إيطاليا على ليبيا فاستنجد في عام 1917م بالحكومة العثمانية، فلم تنجده خوفاً من على مركزها الديني. وقد وقف مع (مصطفى كمال أتاتورك) ظناً منه أنه حامي الدين . كما كان يطلق عليه . ولصد الهجمة الغربيَّة على تركيا.. ولما تبين له مقاصده الحقيقية المعادية للإسلام غادر الشيخ أحمد تركيا إلى دمشق عام 1923م، وعندما شعرت فرنسا بخطره على حكومة الانتداب طلبته فهرب بسيارة عبر الصحراء إلى الجزيرة العربية[1](**.انظر الملحق رقم 02 ، ص:118)**

. الشيخ عمر المختار 1275 . 1350هـ (1856 . 1931م) وهو البطل المجاهد، أسد القيروان، الذي لم تحل السنوات السبعون من عمره بينه وبين الجهاد ضد الإيطاليين المستعمرين لليبيا، حيث بقي عشر سنوات يقاتل قوى الاستعمار أكبر منه بعشرات المرات، ومجهزة بأضخم الأسلحة في ذلك العصر، إلى أن تمكن منه الاستعمار الإيطالي الغاشم، ونفَّذ فيه حكم الإعدام وذلك في يوم الأربعاء السادس عشر من أيلول (سبتمبر) 1931م ويرجى أن يكون شهيداً في سبيل الله.

الأفكار والمعتقدات:

•السنوسية حركة تجديدية إسلامية.

. وتأثر السنوسيُّ أيضاً بالتصوف الخالي من الشركيات والخرافات، كالتوسل بالأموات والصالحين، ووضع منهجاً للارتقاء بالمسلم.

[1]- حلمي إسماعيل محروس، تاريخ العربي الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.، ص 123.

. تتشدد السنوسية في أمور العبادة، وتتحلى بالزهد في المأكل والملبس. وقد أوجب السنوسيون على أنفسهم الامتناع عن شرب الشاي والقهوة والتدخين.

. تدعو السنوسية إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد وعلى الرغم من أن السنوسيِّ مالكيُّ المذهب، إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره.

. الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن أسلوب العنف واستعمال القوة.

. الاهتمام بالعمل اليدويِّ لجاد من تعاليم السنوسية. وكان السنوسي يقول دائمًا: "إن الأشياء الثمينة توجد في غرس شجرة وفي أوراقها" لذلك ازدهرت الزراعة والتجارة في الواحات الليبية حيث مراكز الدعوة السنوسية[1].

ثانيا : الزاوية السنوسية بمسعد

استقر محمد بن علي السنوسي بمنطقة اولاد نايل لسنوات كان اغلبها في مسعد رغم التضارب في الروايات حول مدتها فمنهم من يحصرها في سنتين او ثلاث ومنهم من يذكر انا وصلت الى ثمان سنوات لكن الاكيد ان الشيخ استقر بمسعد عدة سنوات تزوج بها من امرأة تسمى مانة بنت عبد الرحمان من اولاد طعبة ولما قرر الشيخ السفر إلى الحجاز رفضت الهجرة ومغادرة اهلها فطلقها وسافر وتذكر بعض المصادر ان مانة زوجة محمد بن علي السنوسي اكتشفت انها حامل بعد مغادرة الشيخ وانجبت بنت سمتها سعيدة ، وفي مسعد كان له الكثير من التلاميذ بنى له سكان البلدة زاوية وسكنا، ومن مسعد حل الشيخ وهو في طريقه الى الحجاز بضواحي بوسعادة واستقر بمنطقة بوحجة وصار له الكثير من التلاميذ في هذه الجهات منهم احمد بن شبيرة وبعد مغادرة الشيخ للمنطقة وإلتحاقه بالحجاز لحق به بعد سنوات تلميذه احمد بن شبيرة حاجا فأمره محمد على بن سنوسي بالعودة إلى بلاده وتأسيس زاوية بعين النخلة بمنطقة العليق قرب بوسعادة 1837، وقد تكون أول زاوية رسمية أنشئت بالجزائر بعد ظهور الطريقة السنوسية وقد لعبت هذه الزاوية ومريديها دورا كبيرا في التصدي لاحتلال بالمنطقة وخاصة في تورتي بوسعادة بقيادة شقيق أخ الزاوية محمد بن شبيرة ، وفي صورة الزعاطشة أيضا وبسب ما تمثله زاوية عين النخلة من خطورة على

[1] سنوسي نائبي : دراسات في تاريه أولاد نايل مخطوطات تحت الطبع ص 89

الاستعمار كان أول قرار إتخذته سلطات الاحتلال بعد احتلال بوسعادة 1849هو هدم زاوية عين النخلة وقمع وإضطهاد اتباعها[1].

وفي حملة جنرال لادميرول على المنطقة قد مر بمسعد في جوان 1849وهدم زاوية موسى الدرقاوي وقد يكون هدم زاوية محمد بن على السنوسي كذلك[2] . ويذكر دوفيرير أن محمد بن علي السنوسي كان له الكثير من التلاميذ واتباع بمسعد والتي أنشأ بها مدرسة أو زاوية سنوسية وكانت بمثابة النواة لهذه الطريقة التي ستظهر فيما بعد.

أما في حاضرة بوسعادة فيشير إلى أن سي أحمد بن شبيرة كان أول مقدم للطريق السنوسية بهذه الجهات.

المطلب الثاني : التعريف بالطريقة التجانية

الزاوية التيجانية وباعتبارها طريقة من الطرق الصوفية، لم تكن لتعرف لها وجودا بأرض الجزائر بالصورة التي هي عليها، لو لا رجالاتها وحملة أفكارها والذين يأتي على رأسهم الشيخ أحمد التيجاني ، هذا الرجل الذي ارتبط اسم الزاوية وتاريخها باسمه وتاريخه، والجانب الاجتماعي في مثل هذه الدراسات التاريخية يكون حاضرا بقوة، لما في ذلك من علاقة بالمحطات التاريخية التي مرت بها بعض الشخصيات ذات الأثر التاريخي في موضوع الدراسة، وهو ما يمكن إسقاطه بصورة مباشرة على موضوع دراستنا، فالبحث في الطريقة التيجانية لا يمكن فصله عن البحث في حياة الشيخ احمد التماسيني بصفته الملهم والمؤسس لهذه الطريقة، وذلك من خلال التعرض للبيئة التي نشأ فيها الشيخ، وكذا مولده ثم التعريج عن مراحل حياته.

يكون للبيئة التي نشأت فيها الشخصية التاريخية علاقة مباشرة وأثرا بالغا في ما يسجله التاريخ عن هذه الشخصية فيما بعد، ولعل ذلك يبدو في غاية الوضوح عند عرضنا لنشأة الشيخ أحمد التماسيني، فارتباط تسمية الزاوية " التيجانية" بالقبيلة التي ينتمي لها مؤسسها

[1]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الثقافة ،بيروت 1982، ص 89.
[2]سنوسي نائبي : نفس المرجع السابق، ص 90

وعددا معتبرا من خلفاءه ومن رجالات الطريقة، يكون سببا وجيها لضرورة البحث في هذه القبيلة.

تتناول المطالب الثلاثة لهذا المبحث بيئة ومولد الشيخ، وكذا مراحل حياته سواء من حيث جانبه الخلقي وما تعلق بتربيته وبعض المحطات التاريخية التي سجلتها الذاكرة التاريخية لحياة الشيخ، سواء ما تعلق منها بالجانب الإنساني أو الجانب العلمي كردي العراقي، الذي أذن له بتأسيس الطريقة و تلقين الذكر[1]، بعد رجوعه إلى الوطن من البقاع المقدسة نزل سليمان التي غادرها سنة 1782 بسبب مضايقته من طرف باي وهران، خاصة بعد حدوث الحملة العسكرية التي قادها الباي ضد بلدة الشيخ أحمد تيجاني عين ماضي سنة 1778م، و بعد صلاة الاستخارة كما تذكر الرواية قصد قرية بن سمغون جنوب غرب البيض سنة 1190هـ / 1781 بعد أن ضُيّق عليه الخناق من طرف الاتراك[2].

أولا : نشأة الطريقة

استقر الشيخ التجاني في بلدة " بن سمغون " جنوب ولاية البيض، في المكان المسمي "أبى سمغون حيث تذكر المصادر المتعلقة بالطريقة التجانية وعلى رأسها جوهر المعاني و غيرها ان الشيخ أحمد التيجاني وقع له ما يسمى " بالفتح الرباني " و كان ذلك سنة 1196 هـ /1782 م ، وحسب ما رواه الشيخ أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، و أخبره " لا منة لمخلوق عليك من مشايخ الطرق فان واسطتك و ممدك على التحقيق فاترك عنك ما أخذت أترك عنك الطرق و من جميع الأولياء".

وبهذا ينفي الشيخ أن تكون طريقته مزيجا من الطرق الأخرى[3] وما أن سمع أصحاب الشيخ بتنقله من منطقة إلى أخرى فمن قرية أبي سمغون رحل إلى بلدته عين ماضي ليجعل

[1]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج 1، ط 1، دار البصائر، 2002 ص 116-117.
[2]- علي حرزم، المصدر السابق، ص 28.
[3]- علي حرزم، المصدر نفسه، ص 51.
(انظر الملحق رقم 03، ص :119)

منها المقر الرئيسي لطريقته[1] وأستطاع في ظرف ثمانية عشر سنة أن يرسي أسس طريقة جديدة في عدة مناطق، فأينما حل أسس زاوية له، و بعد أن عرفت طريقته توسعا كبيرا في أوساط الطبقة الحاكمة بتونس فكان يراسل الأمراء و عامة الناس، فتوسع نفوذ الطريقة التيجانية و ارتفع عدد أتباعها ، و بعث الباي يتوعد قرية أبى سمغون بالعقاب إن لم يطردوه.

- أهم رجال الطريقة

عدد الذين أخذوا عن الشيخ أحمد التيجاني أو تلميذه خلال حياته و اتبعت طريقته بقيمة بعض الآلاف أو أكثر، و كان من بين هؤلاء علماء وحكام و سلاطين وتجار ساهموا في نشر الطريقة في العديد من الأقطار[2]، ولقد ورد في الأبحاث والدراسات السابقة خلفاء ومتتبعي الطريقة على النحو المبين أدناه:

- الخليفة الأول : الإمام على التماسيني

ولد الحاج على التماسيني سنة 1180 هـ / 1766م تماسين ولاية ورقلة نشأ في بين صلاح و طهارة حفظ القرآن الكريم و ما تيسر من العلوم الدينية[3].

ولد الإمام التماسيني في فترة حكم الباشا عثمان الباشا عثمان محمد كان الباشا يحب الجهاد و وقعت أيامه حروب كثيرة، كما عرف عن الإمام الحاج على التماسيني الانزواء[4].

وفي سنة 1232هـ / 1315م وفد الحاج على التماسيني إلى شيخه بفاس، وهي الأخيرة في حياة الشيخ أحمد التيجاني، التي جمع العديد فيها من أصحابه وهم: السيد محمود التونسي، السيد عبد الله بدة القماري، السيد الطاهر بن عبد الصادق، السيد أحمد بن سليمان

[1]- بن يوسف التلمساني، مرجع سابق، ص 71 .
[2]- عبد الباقي مفتاح مرجع سابق ،ص143.
[3]- عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي، ، معجم الصفوة ، ج 1 ، تين للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د.س)، ص116.
[4]- محمد حناي، الحياة الثقافية في زواية تماسين التيجانية 1803-1954م ، مذكرة ماجيستر غير منشورة، جامعة الوادي، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر ، الوادي: 2014، ص3.

التغزوني، و قبل وفاته بثلاثة أيام، وأعلمهم أنه سينتقل إلى الرفيق الأعلى قال الإمام التماسيني "إن أمرنا هذا يتلقاه حي عن حي مشافهة، وإنما أنت الخليفة عليه من بعدي[1]، فكان الحاج على التماسيني زعيما روحيا وفي نفس الوقت عاملا في الأرض فلاحا متعمدا على نفسه متكلا على ربه كان من تلاميذه نذكر منهم :

- السيد الطاهر بن عبد الصادق بوزر بتونس،
- السيد إبراهيم الرباحي دفين بتونس،
- محمود بن محمد بن المطمطية قسنطينة،
- السيد محمد بن منصور اللموشي تبسة[2].

من أهم الأعمال التي قام بها سنة 1827 مسجد القبة تماسين، وجعله مكانا تجتمع فيه الأحباب للذكر و قراءة القرآن الكريم إلى حد الآن، كما كان له حضور سياسي في بعض المسائل المحلية، اشترى قطعة أرض بتونس و أسس في مكانها زاوية طرانجة[3].

أصيب الشيخ بمرض ألزمه الفراش ورحل عن عمر يناهز الثمانين عاما، كان ذلك يوم الثلاثاء 22 صفر 1260 هـ الموافق ل 12 مارس 1844م ، مخلفا وراءه إرثا من المباني و الغابات، و زادا روحيا و علميا[4].

- الخلفية الثاني : الشيخ محمد العيد نجل الإمام التماسيني

ولد الشيخ محمد العيد عام 1230 هـ /1815 بتماسين، حفظ القرآن الكريم و تلقى العلوم على يد فقهاء الزاوية، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء 22 صفر 1260 هـ / 12مارس 1844 م وهو أول خليفة لوالده[1].

[1]- محمد حناي، المرجع السابق، ص 65.
[2]- عبد القادر موهوبي، المرجع السابق، ص117.
[3]- علي ، زاوية طرانجة باب الخضراء تونس، سلسلة زوايا الطريقة التيجانية الزاوية التيجانية بتماسين، 2009، ص 4.
[4]- الزاوية التيجانية بين الأمس واليوم، منشورات الزاوية التيجانية تماسين ،ط3 ، مطبعة كونين، الوادي: 2008،ص ص 9-10.

كما كتب الحاج التماسيني ليلة وفاته وصية، تضمنت الوصية عهد الخلافة الى من أخلاقه حب العلم وتعلم القرآن وحفظه كما شجع طلب علوم العصر[2].

ومن أهم منجزاته تجديد جامع ضريح والده الشيخ على التماسيني، حيث هدمه فوقه مسجد بزاوية قمار عام 1870م و قبل وفاته كان في زاوية قمار، ثم عرج على زاوية كونين، توفي يوم الجمعة 13 شوال 1292 هـ / 12 نوفمبر 1875م. دامت خلافته 32 سنة و 7 أشهر و 20 يوما[3].

- الخليفة الثالث: الشيخ محمد الصغير نجل الإمام التماسيني

ولد سنة 1232هـ / 1817م بتماسين، تولّى الخلافة بعد وفاة أخيه الشيخ محمد العيد الخليفة الثاني في 13 شوال 1292 هـ / 12 نوفمبر 1875.[4]

قام بعده إنجازات في عهده، منها تجديد المسجد العتيق ببلدة قمار ودشن مسجد تماسين، وكانت أيام خلافته ازدهارا علميا، توفي يوم الخميس 27 جمادى الثانية 1309 هـ / 28 جانفي 1892 هـ و دفن بضريح والده الإمام التماسيني"[5].

- الخلفية الرابع: الشيخ معمر نجل الإمام التماسيني

ولد الشيخ معمر سنة 1241 هـ / 1826م بتيماسين وتولّى الخلافة عام 1309 هـ / 28 جانفي م يوم وفاة أخيه محمد الصغير[6]، حفظ القرآن في سن مبكر تلقي العلوم الأخرى من علماء الزاوية[7]، كما كُلف بمهام التمثيل الخارجي للزاوية مع السلطات الفرنسية لخصاله و آدابه حنكته في الدبلوماسية و أنشأ و زاوية الشط بقسنطينة سنة 1892م.

---

[1]- علي بن محمد غريسي، أئمة زاوية تماسين، ط 1 ، مطبعة كونين، الوادي: 2013، ص6.
[2]- علي بن محمد غريسي، مرجع نفسه، ص13.
[3]- قوراري أخميسي، تراجم أبناء سيدي ،الحاج علي التماسيني، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الجزائر :2004، ص 23.
[4]- قوراري أخميسي، المرجع نفسه، ص14.
[5]- التيجاني الصادق، الشيخ سيدي محمد الخليفة الثالث للامام التماسيني، منشورات الزاوية التيجانية الجزائر : 2008، ص 15 و24.
[6]- التيجاني الصادق، مرجع نفسه، ص 15.
[7]- علي لغريسي، ائمة زواية تماسين ،مرجع السابق، ص 16.

توفي يوم الأربعاء 06 ذي الحجة 1310هـ / 21 جوان 1893 م إثر مرض ألزمه الفراش أربعة أشهر[1].

- الخليفة الخامس: الشيخ محمد حمة نجل الشيخ سيدي محمد العيد

ولد سنة 1260هـ 1884م, تولّى الخلافة بعد وفاة الشيخ معمر كان نظام الزاوية نفسه ما كان عليه أيام أسلافه، أهم انجازاته أسس زاوية بسكرة سنة 1922 كما قام بتوسيع زاوية تماسين[2] وافته المنية يوم الاثنين 6 محرم 1331 هـ / 16 ديسمبر 1912 م، و دفن بضريح جده الامام التماسيني.

- الخلفية السادس: الشيخ البشير بن الشيخ محمد حمه

ولد بتاريخ 1278هـ / 1861 م، حفظ القرآن الكريم وهو صغير، كما تلقى العلوم الأخرى على يد نخبة من علماء الزاوية على رأسهم والده الخلفية الشيخ سيدي حمه، تولي 06 الاثنين 1331 هـ / 16 ديسمبر 1912.[3]

ثالثا : تأسيس زاوية عين ماضي.

وهي الزاوية الرئيسية للطريقة التجانية تأسست في مدينة الأغواط فهي مسقط رأس مؤسسها الشيخ أحمد التجاني ويوجد بها أضرحة أبناء وأحفاد الشيخ التجاني وتحاط بها زوايا ثانوية منها زاوية كوردان جديدة، مية السلطان وعين ورام بن يوسف،1997، ص 101).

2-1- تجديد الزاوية:

أما البناء الثاني لزاوية عين ماضي فكان بعد المؤامرة التي أحيكت ضد سيدي محمد الحبيب سنة 1838 وهدمت عين ماضي عن آخرها وكان هذا البناء بإذن من سيدي الحاج

[1]- الصادق التيجاني، المرجع نفسه، ص2 و5.
[2]- الصادق التيجاني، الشيخ سيدي محمد حمه الخليفة الرابع للامام التماسيني، منشورات الزاوية التيجانية، الجزائر: 2008، ص 5.
[3]- علي لغريسي، ائمة زواية تماسين ، المرجع السابق، ص 21.

التماسيني أيضا، وقد ذكره سيدي محمد الحبيب نجل القطب المكتوم في إحدى رسائله إلى سيدي الحاج علي رضي الله عنهما نقتطف ما نصه وبعد) فالذي أعلم به سيدي رضي الله عنه لما وصل لنا كتابك صحية الحاملين إليك بن سالم ورفيقه وأمرتنا ببناء عين ماضي، فوصل لنا كتابك العصر وخرجنا صباحا ووصلنا لقرية عين ماضي وشرعنا في بنائها بحول الله وقوته). (سكيرج، 1963، ص52)

2-2- مشايخ زاوية عين ماضي:

- الشيخ سيدي محمد الكبير

ولد بعين ماضي سنة (1211هـ - 1776) رحل مع أبيه إلى فاس سنة 1213هـ 1798 ثم عاد بعد وفاة والده إلى عين ماضي، وأبي سمغون سنة (1231هـ 1816) عمل بوصية والده، استشهد في سنة 1242هـ الموافق ل 1827 في معركة سهل إغريس قرب مدينة معسكر وهو في الثلاثين من عمره.(**انظر الملحق رقم 04، ص : 120)**

- الشيخ محمد الصغير (الحبيب):

ولد سنة (1215هـ/1801م) بفاس ونشأ وتعلم هناك وعاد مع أخيه بعد وفاة والده إلى عين ماضي ترك ولدين هما سيدي محمد البشير وسيدي أحمد ، و 14 بنتا تزوجن من أبناء الشيخ سيدي أحمد التجاني التماسيني. (الحسني، 2011، ص63)

- الشيخ أحمد عمار:

نجل سيدي محمد الحبيب التجاني ولد سنة 1265هـ الموافق ل 1849 والدته أمه الست العافية، بناحية كمالة من عمالة قسنطينة كان سيدي أحمد التجاني معتدل القامة أسمر اللون مربوع القادم، شجاع رابط الجأش ، راجح العقل، جوادا كريما، ذا باس وشدة، يهابه الناس

كما كان معروف عند الناس بالفطنة والذكاء والجرأة، في الحق تزوج بنت عمه لالة رقية بنت سيدي محمد الكبير وتوفي سنة 1314هـ الموافق ل1897

- الشيخ محمد البشير:

نجل سيدي محمد الحبيب ولد سنة 1266هـ الموافق ل 1849 كان جميل الطلعة، عالي الهمة، صبورا ، صادق القول، ومتواضعا، يقول الحق ولو علي نفسه دفن في ليلة السبت 03 جمادي الثانية سنة 1329هـ الموافق لـ31 ماي 1911 بموطنه كوردان ونقل جثمانه فيما بعد إلي قرية عين ماضي (سكيرج، 1963، ص96)

- الشيخ محمد الكبير:

نجل سيدي محمد البشير، ولد سنة 1870 وتوفي سنة 1350هـ الموافق لـ 1931 بعين ماضي.

- سيدي الحاج أمحمد التجاني:

وهو العارف بالله سيدنا الحاج أمحمد التجاني ولد رضي الله عنه بعين ماضي في شهر ديسمبر 1933 حفظ القرآن الكريم منذ الصغر، وتزود بالعلوم الإسلامية الأخرى عن علماء الزاوية، كان العضد الأيمن لأخيه العارف بالله سيدنا علي رضي الله عنه نقله الخلافة العارف بالله سيدنا عبد الجبار التجاني (2008، ص06)

- سيدي محمد بلعريبي "الخليفة الحالي"

هو مولانا سيدي علي التجاني بن سيدي علال بن سيدي أحمد عمار بن سيدي محمد الحيب، نجل القطب المكتوم الشيخ مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه ولد بعين سنة 1943 وبها زاول دراسته الشرعية واشتغل بالأعمال الحرة في ميدان التجارة (أنظر الملحق)، تم تنصيبه عاما للطريقة التجانية خلفا للشيخ أحمد التجاني رحمه الله في حفل كبير يوم 25شوال 1431 الموافق ل04 اكتوبر 2010 (تجاني، 2015)

الفصل الثالث

مواقف الطرق الصوفية من التوسع الاستعماري بالمنطقة

المبحث الأول : موقف الطريقة الرحمانية

المبحث الثاني : موقف الطريقة الدرقاوية

المبحث الثالث : موقف الطريقة السنوسية و التجانية

المبحث الأول : موقف الطريقة الرحمانية

اشتهرت بمقاومتها للاستعمار و ظهر ذلك في :

المطلب الاول : مقاومة التلي بالكحل مع الامير

نحن اليوم نقف عند شخصية عظيمة ثارت ضد الاستعمار الغاشم، شخصية لم تهدأ ولم تستكن والمستعمر على أرض الوطن، إنها شخصية مقاوم بطل لم ينزل من على حصانه حتى وافته المنية وهو يقارع الاستعمار في نواحي الجلفة، الاغواط، ورقلة و تقرت، هذا الرجل الذي لم يسجل التاريخ له إلا القليل في قصائد قديمة تحمل في طياتها مواقفه التاريخية، كأحد أبطال أولاد نايل، شاع خبره وكثر الحديث حوله عبر الذاكرة الشعبية والمذكرة الفرنسية والمقررات العسكرية، عن مسيرة خاضها برفقة الغيورين على هذا الوطن من صانعي ملحمة تاريخ أبطال الجزائر.

1-التعريف بالتلي بلكحل

إنه "التلي بن بلكحل بن قريدة" ينتمي الى عرش أولاد سي أحمد من سلالة أولاد نايل ولد بالتقريب عام 1790 في عائلة علم وتقوى، والده "الأكحل" كان شيخا على عرش أولاد سي أحمد، وبعد وفاة والده تولى التلي رئاسة العرش، عايش الأتراك ودخل قصورهم وصارت تربطه بـ "يحي آغا " قائد الجيش العثماني بالجزائر صداقة متينة لذا اكتسب حنكة كبيرة ساعدته على قيادة الرجال وتسيير المعارك فيما بعد، وإثر الاحتلال الفرنسي على الجزائر سنة 1830 تغيرت الأوضاع وبرزت إلى الوجود المقاومات الشعبية وفي مقدمتها مقاومة "الأمير عبد القادر الجزائري"، أين تم تعيين الشيخ عبد السلام بن القندوز شيخ أولاد لقويني قائداً على أولاد نايل في بداية الأمر قبل أن يُسلم المهام إلى ابن اخيه " الشريف بلحرش"

كما عين لكلّ قبيلة شيخا وكان من بينهم "التلي بن بلكحل" شيخا على أولاد سي أحمد وكان ذلك في حدود سنة 1836م[1].

ومما تداول عن مآثره أنه كان متفوقا في الأدب والفقه والتوحيد والحكمة، يشهد لعائلته بعلو المكانة حيث كانوا يجوبون المدن والزوايا ويدرِّسون القرآن الكريم وأصول الدين، عُرف بالنبوغ في العلم الصحيح والتقوى والشجاعة لا تحركه الأهواء وردود الأفعال، ذو وعي سياسي لا يستهان به وحنكة في تسيير المعارك له شهرة كبيرة بين عروش الارباع وأولاد سيدي نايل، وشاعر يضرب به المثل، كان يشرف بنفسه على تنظيم الصفوف وتوزيع المهام على الفصائل الدفاعية والهجومية للمجاهدين من أتباعه.

2-عقده الذي إشتهر به بين عروش التل والصحراء

من بين التنظيمات التي إشتهر بها البطل بين عروش التل والصحراء ما كان يُعرف بـ " عقد التلي بن بلكحل" ، وكانت تضرب به الأمثال خاصة عند سكان الجنوب نظراً لتشكيلاته البديعة في ذلك الزمان، والتي توحي بحسن التنظيم، ويتمثل العقد في موكب الإبل المحملة بالنساء والمؤونة والخيم وتتبعه قطعان المواشي، أما فصائل الفرسان فقد كانت تبدو على شكل أجنحة ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة بينما كان القائد " التلي بن بلكحل" يتقدم الركب في كوكبة من الفرسان حاملا راية الجهاد[2].

3- مسيرته وكفاحه مع الأمير عبد القادر الجزائري والعروش الثائرة

عندما قدم الأمير إلى المنطقة وأعلن الجهاد ضد المحتلين، كان التلي في مقدمة المقاتلين، وكان يوفر الحماية والدعم لجيش الأمير، ومن بين أهم الحوادث في شهر أوت 1845 مداهمة القوات الفرنسية لعرش أولاد سي أحمد والسكان المجاورين لهم، أين استولت

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 98.
[2]- عبد الوهاب شلالي، محاضرات في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في العهد العثماني، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، السنة الجامعية 2007-2008.

القوات الغاشمة على المواشي ونهبت الحبوب، وعلى إثر هذه الحادثة ثارت العروش المجاورة من اولاد أم هاني، وأولاد سعد بن سالم، ونادوا بالجهاد تحت قيادة "التلي بن بلحكل"، والمعروفة تاريخياً بإنتفاصة "التلي بن بلكحل" وداهموا معسكر العدو بالزعفران، وقتلوا منهم الكثير، ثم اتجهوا نواحي مسعد، وفي طريقهم تشابكوا مع دورية للعدو، هزموها وقتلوا الكثير واستولوا على السلاح والذخيرة.

ويمكن القول أنّ أول ما انتظم في منطقة الجلفة دولة الأمير عبد القادر في أرقى شكل لها، فقد قسّم دولته إلى 8 مقاطعات، حيث اعتبرت منطقة الجلفة المقاطعة الثامنة والتي ترأسها كأحد نواب الأمير "سي عبد السلام بن القندوز" ثم تولاها فيما بعد ابن أخيه " سي شريف بن لحرش"، ونظم الامير منطقة الجلفة إلى 06 مناطق فرعية قام عليها اشخاص هم زعماء القوم، ابطال محاربون وشيوخ زوايا، ومن بين العوامل التي شكلت القوة والعلاقة بين الامير والمنطقة هي الانتماء الثقافي الديني الى الطريقة الرحمانية المساندة للطريقة القادرية بالإضافة إلى الإمكانيات المادية، خيول ليس لها مثيل وثروة ورجال وشجاعة بكل تركيباتهم كوحدة متحدة ذات اخلاق وأهداف موحدة وجهد مشترك خاضوا معارك مع الأمير في الشمال وداخل الولاية[1].

تجول البطل " التلي بن بلكحل" مع جيش الأمير أو العاصمة المتنقلة "الزمالة" شرقا وغربا وكان يوفر الحماية والدعم لجيش الأمير في حلّه و ترحاله ففي سنة 1845 رافق الأمير عبد القادر إلى سيدي بوزيد ومن ثمّ إلى قعدة القمامتة، مخلدا كلمته الشهيرة التي ترددها الأجيال الى يومنا هذا " العرب قع خالفة" وفي طريقهم مروا بقصر زنينة أين تلقاهم أهلها بحفاوة الترحاب وزودوه بالمؤونة والذخيرة، وصلى بهم الأمير وطلبوا منه الدعاء، و قد دعا لهم بدعائه الذي تناقلته الروايات " اللهم أعطي لهذا البلد بركة جبلين" [2]...

[1]- عبد الوهاب شلالي المرجع السبق.
[2]- نفسه.

4-انتفاضة "التلي بن بلكحل" ..

كان للبطل برفقة الأمير عبد القادر عدة معارك نذكر من بينها معركة "واد يسر" في 05 فيفري 1846 والتي تكبد فيها العدو خسائر جسيمة في الأرواح والعتاد. ومعركة "واد السبع" في 07 فيفري 1846 ، تليها في 13 مارس من نفس السنة معركة "عين الكحلة" وفي 22 مارس اشتباك قرب مدينة زنينة، ثم إلى نواحي بوكحيل اين التحق بالأمير والتحقت بهم جموع من أبطال الأرباع بقيادة "أحمد بن سالم بن دهقان"[1]

وفي 6 أفريل 1846 وبعد اشتباك مع قوات فرنسية كانت تتابع أثر الأمير انسحبت على إثره مهزومة، انقسمت قوات المجاهدين على قسمين فرقة بقيت مع الأمير وفرقة اتجهت إلى الغرب باتجاه جبل العمور بقيادة "التلي بن بلكحل" أين التقوا مع "محمد بن عبد الله" شريف ورقلة قرب القرارة ومن ثم اتجهوا الى نواحي بريان وفي طريقهم حدثت أكبر معركة تكبد فيها العدو خسائر جسيمة خاصة في الأرواح وفي شهر جانفي 1851 تشابك "أحمد بن سالم بن دهقان" (شيخ الحجاج) مع قوات العدو في مدينة "بن داقين" قرب الأغواط وألتحق به "التلي" لنجدته وكان معه نفر من اولاد سي احمد، أولاد لعور، اولاد يحي بن سالم، و أولاد أم هاني، وفرق من الأرباع التابعة للمقاوم " بن ناصر بن شهرة" وكانت معركة كبيرة انتهت لصالح "أحمد بن سالم" وللمجاهدين معركة وصفها أحمد بن سالم في قصيدة وإثرها كتب " ليبراي" للحاكم العام الفرنسي أن أعيان الأغواط متواطؤون مع المجاهدين، وفي شهر جوان 1852[2] كان التجمع الكبير لمقاومي اولاد نايل بقيادة التلي بن بلكحل بقصر الحيران قرب مدينة الاغواط، وكان هذا التجمع في انتظار قدوم شريف ورقلة "محمد بن عبد الله"، وفي جويلية 1852 التحق بالوفود "الشريف بن عبد الله" و"بوشوشة" و"شيخ الشعانبة"، و"سي الزوبير" قائد أولاد زكان من قرية سيدي الشيخ مع الكثير من المجاهدين وأبطال الأرباع بقيادة "أحمد بن سالم"، واتجهوا إلى منطقة الاغواط

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر(د.ت)، ص 52
[2]- نفسه، ص 53.

الثائرة ضد الاستعمار وكان في انتظارهم البطل "يحي بن معمر" مع شباب المدينة، وفي 4 ديسمبر 1852 كانت معركة الأغواط الشهيرة من أكبر المعارك الشعبية أبلى فيها " التلي بن بلكحل" مع جيشه البلاء الحسن حيث سموها أهل المنطقة بـ"عام الخلية" لما شهدته من مجازر رهيبة ارتكبها العدو في حق الأطفال والشيوخ والنساء وحرق فيها الكثير في الأكياس "الشكاير" وبهذا الصدد قال العقيد الفرنسي "ثيودور بان Theodore Pein ".. لقد وجدنا من بين الأموات الكثير من أولاد نايل.."

5- وفاته

في شهر جانفي من عام 1854 ظهر البطل في معركة برفقة "أحمد بن سالم بن دهقان" قرب تقرت وحينها جرح وألقي عليه القبض من طرف "سليمان بن علي" قائد تقرت، كما ألقي القبض على رفيقه "أحمد بن سالم " الذي جاء لنجدته، مكثا إلى أن خلصتهم زوجة قائد تقرت والتي كانت من عرش الحجاج ولديها الروح القبلية، فراحت تغري الحراس بالمال ليسهلوا لهما الفرار من السجن، ولما سهل لهم الفرار كانت تنتظرهما كل من معركة "عين الناقة" برفقة أولاد ملخوه ، لتليها معركة "جبل كبرتين"، ثم معركة "حاسي الفتاح" [1] ...

وفي 15 جانفي 1854 شنّ "التلي بلكحل" مع أتباعه هجوما على جيش المستدمر الفرنسي بالقرب من "تماسين" وأصيب الشيخ البطل أثناء هذه العملية بإصابة بليغة أسر على إثرها، وبعد مدة من الاعتقال أصدر الحاكم العام عفوا في حقه نظراً لتقدمه في السن مع فرض الإقامة الجبرية، وفي تلك الفترة وصفه "لخضر بن حرفوش" (رفيقه وكاتبه) بقوله " تخلى عنه رفاقه وتشتت أنصاره وبقي وحيدا آخر حياته"...وهكذا ضاقت السبل بشيخ المقاومين إلى أن وافته المنية غرقاً في "واد الحاجية" كما ورد في بعض الروايات..[2]

[1]- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، دار الشرق، بيروت(د.ت)، ص 69
[2]- نفسه، ص 70.

المطلب الثاني : انتفاضة بوشندوقة

1- التعريف بشخصية سي الطيب بوشندوقة:

ولد سي الطيب حوالي سنة 1826 ، وقد عُرف بانتمائه إلى قبيلة أولاد أحمد، رغم أن تحقيقات إدارة الاحتلال عمليات الاستنطاق التي أجرتها على أفراد تواصلوا مع سي سي الطيب أو كانت لهم معرفة سابقة به، توصلت إلى أنه لا ينتمي إلى هذه القبيلة، لكنها لم تنف أن يكون من أولاد نايل، وبناءً على ما أورده المترجم العسكري مارك أنطوان آرنو (ARNAUD Marc-Antoine) كان الطيب طويل القامة وله لحية بنيّة خفيفة، ووجه نحيل وشاحب وجنتاه ناتئتان ومتوهجتان تبدو عليها علامات التعب الناجم عن صلواته الطويلة والخاشعة، وعيناه تشع بوهج داكن، وأنه ذو تعليم بسيط وبالكاد يُحسن القراءة. وقد أطلق عليه المحيطون به، بما في ذلك أشخاص ذوو مستوى رفيع، اسم "سي" "الطيب" كشكل من أشكال التبجيل في المخاطبة، كما كانوا يقبلون يديه ولأنه لم يكن من أولاد سي أحمد ، هذا الأمر أضفى عليه هالة من الغموض[1].

ينتمي سي الطيب إلى الطريقة الرحمانية، وقد بالغ .ا مونجان (E.MANGIN) حين ذكر بأن سي الطيب ينتمي إلى تنظيم متطرف المختار[2]، وهذا لأنه يعتبر أحد مقدمي الشيخ المختار، شيخ زاوية أولاد جلال. ولكن سي الطيب لم يكن المقدم الوحيد للزاوية الجلالية بالمنطقة، فقد هناك أيضا سي صدوق بن سفير، ومما يذكر أن وفاة الشيخ المختار، التي كانت قبل نحو تسعة أشهر من تاريخ مقاومة بوشندوقة، خلقت منافسة بين سي الطيب وسي صدوق، وقد كان هذا الأخير يتمتع بثقة الإدارة الفرنسية بالجلفة، كما كانت تربطه علاقة

[1]- بنيامين كلود بروور، صحراء اسمها سلام تاريخ الشرق الأوسط المعاصر ومجتمعه عنف الإمبراطورية الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 1902)، تر: أمين الأيوبي، دار الروافد الثقافية، بيروت - وهران، الطبعة الأولى، 2020، ص: 196.

[2] -Mangin, Notes sur l'Histoire de Laghouat, Revue Africaine, volume 39, 1895, P : 35.

وثيقة مع باشاغا أولاد نايل الشريف بن لحرش، ولهذا السبب كان صدوق أحد الذين خضعوا لتحقيقات الإدارة الاستعمارية، رغم أن شهادته كانت مقتضبة ومخيبة للآمال[1].

وُصفت شخصية الطيب بالجدية والأهمية، أما ممارساته الصوفية، فقد كانت استثنائية، حيث كان حسب الأشخاص الذين استجوبتهم التحقيقات الفرنسية، يرفع صوته على أصوات الآخرين، كما كان يضرب "البندير" أو الطبل بعنف. وبسرعة اكتسبت الحلقات الابتهالية والاجتماعات التي كان يحضرها خشوعا فريدا. وبفضلها استطاع الطيب، أن يكون شعبية وسط قبائل المنطقة، وبلغ صيته كل المناطق المجاورة، حتى أصبح موضوع حديث الجميع. وفي الواقع لقد نال الجانب الصوفي في حياة الطيب اهتمام الكتابات الأجنبية، التي قدّمته ليس كزاهد فحسب، بل مرابط يتمتع بقدرات خارقة وعجيبة، وله علاقة بعالم ما وراء الطبيعة[2].

اهتمت التحقيقات الفرنسية أيضا، برصد تحركات سي الطيب والأشخاص الذين التقى بهم وأزمنة وأمكنة هذه اللقاءات، ورغم أنها لم تستطع بشكل دقيق، توثيق تحركات سي الطيب في تقاريرها، أوردت الكتابات بأنه قبيل هجومه على الجلفة، كان يتنقل بين المخيمات الواقعة في مراعي الزاغزين، ورغم استقراره النسبي لدى أولاد سي أحمد، زار بوشندوقة قبائل أولاد أم هاني وأولاد الغويني وأولاد عبد القادر وأولاد بوعبد الله، وقد أضفت سرعته اللافتة في التنقل بالمنطقة، إيحاءات إضافية على كراماته إلى درجة بلوغه مرتبة الولاية.

2- مقاومة سي الطيب بوشندوقة من خلال الكتابات الأجنبية:

- الهجوم على الجلفة:

مهدت الإدارة الاستعمارية لتأسيس مركز استيطاني بالجلفة، ابتداءً سنة 1852،شرع الجنرال يوسف (Le Général Yousouf) بأوامر من الحاكم العام راندون (Randon) في

[1]- بنيامين كلود برورو المرجع السابق، ص ص 200 201.
[2]- نفسه، ص ص.196.195

إقامة برج الجلفة، وهذا بالتزامن مع التخطيط للهجوم على الأغواط، حتى تكون الجلفة قاعدة خلفية للقضاء على المقاومة التي كانت تدور في الجنوب بقيادة الثائر بن ناصر بن شهرة والتلي بن لكحل والشريف محمد بن عبد الله[1]. وعقب النجاح في اقتحام الأغواط، أصدر راندون بتاريخ 22 جويلية 1853،[2] أمرا بإلحاق القبائل الواقعة بمنطقة الجلفة بدائرة الأغواط، وقد لاقى هذا الأمر استحسان وزير الحرب عندئذ، فأمر الجنرال بيليسي (Le Maréchal Pélissier بإمضائه بتاريخ 9 سبتمبر 11853. وقد أوردت الإحصائيات بأن مركز الجلفة كان يضم سنة 1860 تعدادا سكانيا يبلغ 114 نسمة، وسرعان ما أصدر نابليون الثالث (Napoleon (III) في 20 فيفري 1861، قرارا يقضي بتكوين مركز الجلفة العسكري ببناء 55 منزل على مساحة قدرها 1770 هكتارا[3].

بينما كانت القرارات التنظيمية للمركز الاستيطاني الجديد، تتوالى، كان من الطبيعي أن يكون هجوم سي الطيب مثار هلع واحباط للفرنسيين، خاصة مع ما أبدته القبائل من استسلام لسلطات الاحتلال عقب نجاحها في احتلال الأغواط. هذا الأمر أشعر الفرنسيين، بأنه ليس ثمة ما يعكر صفو الأمان الذي حصلوا عليه وبأنهم اكتسبوا تفويضا مطلقا في شؤون هذه القبائل، لذلك كانت التخطيطات تدور حول العمل على دفع الاستيطان نحو الداخل واستئناف عملية الاحتلال والمضي نحو الجنوب الكبير بخطى ثابتة ومستقرة.

تتفق المصادر والمراجع الأجنبية على أن زيارة زاوية أولاد جلال، كانت الغطاء الظاهري لتحركات الطيب ورجاله، ففي يوم 12 ، وهو يوم عيد فطر، احتفل . الطيب بالعيد مع أولاد الغويني، وكذلك زار أولاد أم هاني، وأولاد الشريف أحمد)، حيث استضافه أحد رجال القبيلة وهو القايد بن سليم بن فضيل، وقد استحالت الزيارة إلى اجتماع كبير، حضره حوالي ثلاثون

[1]- محمد الطيب سالت مدينة الجلفة من التأسيس الإداري إلى الاستقلال الوطني 1861/1962 ، دار ،ومضة1 الجزائر، الطبعة الأولى، 2021، ص: 107.

[2]- المبشر ورود الأخبار من جميع الأقطار، ع: 146، 03 أكتوبر 1853، . ص: 1.

[3]- كمال بيرم: كتابات الضباط الفرنسيين حول الجلفة والصحاري، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع: 10، منشورات جامعة الجلفة، 2014، ص: 71.

شخصا من المريدين، وقد كانوا ينتمون إلى أولاد امحمد، وكذلك شهد التجمع حضور أفراد من الصحاري الخبيزات، وخلال هذا الاجتماع، أعلن الطيب عزمه على تأدية زيارة إلى الزاوية الجلالية، وضريح عبد الرحمن بن سالم في عين الريش، الواقعة على الطريق المؤدي إلى أولاد جلال، ومع حلول ظهر يوم 12 أفريل 1861، سار سي الطيب ورجاله نحو طريقهم[1].

على حد ما ذكرت الكتابات الأجنبية، أنه عندما كان سي الطيب ورجاله يأخذون الطريق الطبيعي نحو عين الريش وأولاد جلال، توقفت المجموعة عند المويلح التي تقع شرقي الجلفة عند تقاطع الطريق المؤدي إلى بوسعادة وأولاد جلال، حيث تناولوا غداءهم، وفي هذه النقطة بدأت نوايا الطيب تتضح، حيث انفصل عن المجموعة النسوة والصبية، بينما استأنف الباقون سيرهم، وعندما وصلوا إلى بوتريفيس أفصح الطيب عن عزمه على مهاجمة القرية الاستيطانية بالجلفة والقاعدة العسكرية الفرنسية، وبعد خطاب حماسي، كانت الزيارة الصوفية قد تحوّلت فعلا إلى ثورة شعبية[2].

كان عدد المقاومين بين 50 – 60 رجل وبعض الصبيان، وفيما ذكرت الكتابات من أسماء، نجد بالإضافة إلى الطيب قائد المجموعة، مصطفى بن جريد من أولاد سليم أحد فروع أولاد أحمد، وأيضا علي بن مختار والأخضر بن الفار، وهاشمي بن عمير. وقد كانت أسلحتهم محدودة جدا، فقد تمثلت في عصيّ وحجارة وسكاكين، واستطاعوا تجاوز الحامية وانحدروا نحو الجلفة، وقد كان ذلك ليلة 14 . 15 أفريل 1861 أغار الثوّار أثناء هجومهم على خمسة منازل ومقهى مغربي مقام على الطراز العربي المحلي، وقد راح جراء هذا الهجوم ثلاثة أوروبيين، وأصيب بجروح خطيرة ثلاثة مستوطنين وعاملين من الأغواط وثلاثة جنود[3].

[1]- بنيامين كلود بروور، المرجع السابق، ص: 203.
[2]- بنيامين كلود بروور، المرجع السابق ص ص : 204، 205.
[3]- نفسه، ص: .209.160

تأخر الجنود الفرنسيون في استيعاب هذه الثورة وحماية المستوطنين ولكنهم استطاعوا إلحاق خسائر بمجموعة الثوّار، فرغم أن الأرشيفات الفرنسية لا تذكر تفاصيل كثيرة حول ذلك، ولكنّها تذكر بأن اثنين من المقاومين قتلا متأثرين بجراح خلفتها خردق طلقات نارية صدرت من بنادق المستوطنين الذين كانوا مسلّحين، في تعبير عن صورة من عدم الأمان الذي كانوا يعيشونه، كما تذكر بأن أحد المقاومين قتل كذلك برصاص بندقية عسكرية[1].

ذكر مونجان بأن قيادة الأغواط التي كان على رأسها دي سوني (Louis Gaston de SONIS) استعانت بقومية الأرباع، وتمكنت من إلقاء القبض على مجموعة من المقاومين ولم يكن من بينهم سي الطيب، وبدون تريث عقد دي سوني مجلس حرب سريع، ونفّذ فيهم حكم الإعدام وقد كان عددهم سبعة[2]، وهذا كان يوم 19 أفريل أي بعد أربعة أيام فقط من وقوع الهجوم، ذلك أن سوني كان يصر على أن تكون العدالة الفرنسية سريعة وقاسية من جهة، ومن جهة أخرى لتفادي وقوع تمرد كبير[3].

دعم الأب فرانسوا دوفيلاري (François DE VILLARET) هذه الرواية، وذكر بأن من أصل ثمانية عشرة شخص تم التحقيق أدين سبعة منهم، وقد أعدموا رميا بالرصاص، وهم: بن عمر بن سعد، بلقاسم بن صديق، يحي بن الطيب، علي بن مختار أحمد وثلاثة من معهم، مبارك بن عبد المالك، بوبكر بن علي، ودراجة بن يطو أربعة من هؤلاء المقاومين ينتمون إلى أولاد الصحاري الخبيزات[4].

إن هذه التفاصيل تتضارب مع رواية المارشال بيسيلي، ففي مراسلاته لوزير الحرب أواخر أفريل 1861، ذكر بشأن ما أسماه: "الواقعة المؤسفة التي حدثت في مدينة الجلفة"، بأن

[1]- نفسه، ص .213

[2] -Mangin, op-cit, P: 35.

[3]- بنيامين كلود بروور، المرجع السابق، ص: 204.

[4] -François DE VILLARET: Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa, T: 2, center de documentation Saharienne, Ghardia, 1995, p: 125.

الجنود الفرنسيين استطاعوا اللحاق بأربعة من المقاومين فقط والذين نفذ فيهم حكم الاعدام، بينما استطاع سي الطيب والباقون الابتعاد[1].

وهاتين الروايتين تتعارضان بدورهما مع ما تحتفظ به الذاكرة الشعبية بأن الجنود لم يستطيعوا اللحاق بالثوار الذين ابتعدوا عن وهذا ما يفسر الغموض والسرعة التي تمت بها معاقبة المعتقلين الذين كانوا من المدنيين ولا علاقة لهم بحركة المقاومة، وكانوا ستة عشر شخصا، تمت تصفيتهم بدفنهم أحياءً تحت الأرض في المكان المعروف اليوم بوسط مدينة الجلفة باسم مطمورة ستة عشر"[2].

لم يستسغ بيليسي والإدارة المحلية بالجلفة هذه الثورة، وقد طالت الاتهامات الباشاغا الشريف بن لحرش، واهتزت الثقة التي كانت موضوعة فيه، واتهم بالتواطؤ، وأنه غض الطرف عن سي الطيب ومن معه من مقاومين[3]، وازدادت شكوك السلطات الفرنسية في ولاء بن لحرش، بسبب لجوء الثوار بعد ذلك إلى زاوية نفطة بتونس، والتي كانت تربطها علاقات صداقة مع زاوية بن لحرش الرحمانية، وهذا ما نستشفه من رسالة بيليسي حيث قال: "... وبلغني أن الطيب بوشندوقة ونفرين آخرين متهومين معه في غارة دشرة جلفة الذي كنت أعلمتكم بتفصيلها في جوابي الأخير هربوا في زاوية نفطة ووجدوا هناك مبروك بن عزوز في من سي البرج صاحب باش آغة أولاد محمد الجلفاوي وشقيق كبير الزاوية المذكر[4].

استغلت زاوية نفطة الامتيازات الممنوحة لها أو ما يسمّى بـ "حرم الزاوية" وهو المساحة المحيطة بالمقام حيث لا يستطيع كائن من كان خرقها أو التعدي عليها في إيواء الثوار ، وكل من يلتجأ لها للإفلات من يدي السلطة[5]. ومن جهته بيليسي صمّم على القبض القبض

[1]- بنيامين كلود بروور، المرجع السابق، ص: 160.

[2]- نابي سنوسي مساهمة قبائل أولاد نايل في المقاومات الشعبية من خلال المصادر الفرنسية 1836 - 1890، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ سنوسي : المعاصر، إشراف أ. د : بوعزة بوضرساية جامعة الجزائر 2 ، 2013 - 2014 ، ص: 144.

[3] -Mangin, op-cit, P: 36.

[4]- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق : 212، الوثيقة رقم: 34، 38.

[5]- إدريس رائسي: القبائل الحدودية التونسية - الجزائرية بين الإجارة والإغارة 1830 - 1881، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2016، ص.88:

على بوشندوقة ومن معه فراسل قنصل فرنسا في تونس من أجل الاتصال بالباي محمد الصادق لضمان وساطته لدى زاوية نفطة حتى تسلّم . الطيب ومما جاء في الرسالة المؤرخة بيوم 21 جوان 1861: "أن المارشال بيليسيه حارص جدا في طلب القبض على المسمّى الطيب بن شندوقة المتهوم مع نفرين آخرين في الغورة التي وقعت على دشرة الجلفة في الجزائر وهربوا في زاوية نفطة في العمالة التونسية ويطلب كذلك تسليم المذكور في أيدينا"[1].

ونظرا لمضايقات السلطات الفرنسية على القائمين على الزاوية، التحق سي الطيب ورفاقه بالثائر بن ناصر بن شهرة وهذا ما يقوّض تصوّرات الحاكم العام بيليسي بأن تمرّد سي الطيب بوشندوقة حادث منعزل ولا علاقة له بالسياسة، حيث جاء في الرسالة السابقة: " والثلاثة أنفار المذكورين سافروا في الحين ولحقوا جرة ناصر بن شهرة فالمرغوب منكم أن تطلبوا من جناب الباي أن يسلمنا الأنفار المذكورة ليتحقق غيرهم أن التراب التونسي لا يحمي الجناة بمثل هاته الجنايات"[2]. ونجد بيليسي حريص على النيل من سي الطيب، حيث أتبع الرسالة الأولى، برسالة أخرى في شهر جويلية 1861، يطلب من السلطات التونسية الإذن بالبحث عن سي الطيب ومن معه[3].

- الكتابات الأجنبية ومدى مساهمتها في التأريخ لمقاومة بوشندوقة:

إن أول ما يمكن ملاحظته عن المصادر التي أرخت لمقاومة 1861 بالجلفة، وبشكل خاص ما دوّنه مونجان وآرنو، وحتى ما كتب لاحقا، نجده في مجمله يستقي معلوماته ويبني تصوّراته من خلال التقرير الذي أرسله المارشال بيليسي إلى وزير الحرب، وما من شك أن هذا التقرير كان مفيدا لنا، خاصة وأن بيليسي اعتمد فيه على شهادات الجزائريين الذين خضعوا لتحقيقات الإدارة الاستعمارية، مع ملاحظة أنه لا يمكن الجزم بعدم تعرض هذه الشهادات للانتقائية والتوجيه، وهذا طبيعي بالنظر إلى حجم القضايا التي أثارتها هذه

[1]- الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية، صندوق : 212، الوثيقة رقم: 34، 38.
[2]- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق : 212، الوثيقة رقم: 34، 38.
[3]- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق: 212، الوثيقة رقم: 41.

المقاومة. فإحدى القضايا التي نوقشت على خلفية مقاومة سي الطيب بوشندوقة، ما تطرقت له الصحافة الباريسية فيما يخص طبيعة الحكم الفرنسي في الجزائر، وانتقاد الرأي العام الفرنسي للطريقة التعسفية التي تم من خلالها تنفيذ حكم الإعدام حيث رأى بأنها تفتقر للعدالة، فلم يُسمح للمتهمين بحق النقض والدفاع عن أنفسهم ، ورغم تبريرات دي سوني هاجمت الصحافة الفرنسية في فرنسا بيليسي وحكومته العسكرية، وهذا الأخير من أجل الحفاظ على سمعته، أقدم على إقالة دي سوني من وظائفه بالأغواط يوم 19 ماي 1861، وأعاده إلى الفوج القتالي الذي كان يترأسه بمعسكر، وعيّن مكانه لابروس (Labrousse)[1] كانت هذه السياسة والعقوبات الارتجالية أيضا، تتناقض مع ليبرالية نابليون الثالث الجديدة، وترويجه لإقامة "مملكة عربية" وهو أحد أغرب المشاريع الاستعمارية، التي كانت تنوي فرنسا تطبيقها في الجزائر.

أما المسألة الثانية التي أثيرت في أعقاب ثورة . الطيب، هو مستقبل الاستيطان في الجزائر ،عموما، فإذا كان المستوطنون يفتقرون للأمان، كيف سيواصل الفرنسيون سياساتهم ومشاريعهم التوسعية، ومن أجل تبديد هذه المخاوف، برر بيليسي مقاومة سي بأنها: "... حادثة معزولة ولا تهدّد الأمن في الأراضي الجنوبية..." وأضاف بأن: "رجال سي طيب سيئي التسليح ليسوا طليعة تمرّد كبير، وإنما ضحايا إغراءات سي طيب..."[2]، وعلى العموم كانت هذه طريقة رجال الإدارة الاستعمارية في تبرير حركة المقاومة التي كانت تشهدها الجزائر، فأيضا مونجان نفى أن يكون للثورة أبعاد سياسية ووطنية ووصف الحركة بأنها: "عمل منعزل، قام به عدد قليل من التعساء، تلاعب بهم رجل متطرف، اسمه طيّب بوشندوقة".[3]

[1] -Mangin, op-cit, P : 36.

[2]- بنيامين كلود بروور، المرجع السابق، ص: 161.

[3] -Mangin, op-cit, P: 36.

نستنتج من هذه الإشكالات أن هناك الكثير من الدوافع التي من شأنها أن تمس بموضوعية وصدقية شهادات رجال الإدارة الاستعمارية في الجزائر، وتعطينا في الوقت ذاته صورة عن حجم الذاتية التي يمكن أن تطبع رواياتهم وإلى أي حد يمكن الأخذ بها فيما يخص التأريخ لمقاومة سي الطيب بوشندوقة.

تعد أطروحة الباحث بنيامين كلاود بروور (Benjamin Claude BROWER)، والتي جاءت بعنوان "A Desert Named Peace" أو "صحراء اسمها "سلام" من أهم الدراسات التي تطرقت لمقاومة سي الطيب بوشندوقة. وقد كان الباحث بينامين بروور موضوعيا، حين قدم هذه المقاومة في إطار ثورة شعبية. ورغم أنه درس أيضا تقرير بيليسي الذي كان يعدّ هذه المقاومة كحركة اجتماعية أو لا تزيد عن كونها ثورة فلاحين جزائريين، وتمثل إحدى تقلبات سكان الأرياف بالجزائر، حلّل بروور المبررات الاجتماعية والاقتصادية، وقد ركز على أزمة ستينات القرن التاسع عشر، والتذمر الذي كان يعيشه السكان المحليون جرّاء نفوق ماشيتهم، وتلف محاصيلهم، وارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية، والنزاعات التي أحدثها تغيّر أنماط استخدام الأرض وكذا تغيّر الانتاج، والانتقال القسري من نظام اجتماعي واقتصادي إلى نظام مغاير، الأمر الذي أحدث صدوعا داخل المجتمع الرعوي، زيادة على هذا تطرق للسياسة الضريبية وارتفاع حجم الضرائب التي تحملها أولاد نايل خلال عام 1861، ناهيك عن تخبطهم في المشاكل الطبيعية كالجفاف المتواصل[1].

ولكن لم يكتف الأستاذ بروور بالشق الاجتماعي والاقتصادي لمقاومة سي الطيب، فقد أعطى صورة عن الازدواجية في تقرير المارشال بيليسي، الذي كان طرحه متناقضا حيث اعتبر مقاومة سي الطيب شأنها شأن ثورات القرن التاسع عشر في الجزائر، هي ثورة لها خلفية مادية، بينما عاد ليقول بأن سي الطيب ومن معه من مقاومين هم أشخاص متطرفون وفاقدون لعقولهم. ولذلك أورد بروور بعض التفسيرات الدينية والروحية وقدّم دراسة سيكولوجية

[1]- بنيامين كلود بروور، المرجع السابق، ص: 216.

لشخصية . الطيب الصوفية، واستحضر دور الشيخ المختار بن خليفة والطريقة الرحمانية وزاوية نفطة. وليس هذا فحسب فقد أورد هذا الباحث دراسة إثنوغرافية حول قبائل أولاد نايل. ولكن ما يهمنا هنا هو دراسته لمقاومة 1861 بالجلفة حيث وضعها في إطار تأثيرات الوضع الاستعماري في العلاقة بين الزعامات الدينية المتنوعة وبالنظام السياسي، عكس الكثير من الدراسات التي كانت تسعى لفهم دور الإسلام في تأجيج حركة المقاومة، ركز الأستاذ برورو على المرجعية الاجتماعية والسياسية، عوضا عن المرجعية العقائدية والإيديولوجية[1].

المبحث الثاني : موقف الطريقة الدرقاوية

المطلب الأول : موسى بن الحسن المدني الدرقاوي

اختلف في مولده ونسبه من حيث اسم الوالد وتاريخ المولد غير أن المتفق عليه بين المؤرخين هو أنه مصري المولد فيقول المترجم العسكري آرنو أنه "موسى بن الحسن" مولود بضواحي مدينة "دمياط" المصرية. بينما يقول الحاج قارة"، مفتي دلس وكان يسكن المدية وله علاقة صداقة بالحاج موسى، أن اسمه الكامل هو "الحاج موسى بن علي بن الحسين". أما بالنسبة لتاريخ مولده فيقول العقيد ترواملي أنه قد ولد في نهاية القرن الثامن عشر ليذكر في نهاية كتابه أن كان 53 سنة عندما عمره استشهد في حصار وقصف واحة الزعاطشة سنة 1849 وبالتالي فإن الحاج موسى قد ولد عام 1796م. وقد وجدنا في أكثر من مصدر وصف موسى بن الحسن بـ "الحاج" رغم أننا لم نعثر في أي من هذه المصادر على تاريخ . حجه إلى مكة المكرمة ولهذا سوف نعتمد لقب "الحاج" "موسى" " كما وجدنا في هذه المصادر.

[1]- نفسه، ص: 220

المطلب الثاني : موسى الدرقاوي في الأغواط مُضايقا من التيجانيين

كان موسى بن الحسن قد انضم إلى جيش حاكم مصر محمد عليّ ضمن الفرق التي شاركت في حصار الباشا الأرناؤوط لمدة سنتين وبعدها رجع إلى القاهرة و تقول الروايات المختلفة أنه قد سافر إلى ليبيا وتونس والمغرب والجزائر وإسطنبول وفي الجزائر تنقل كثيرا بين شرقها وغربها ووسطها وجنوبها وشمالها. وتختلف تواريخ تنقلاته قبل دخوله الجزائر بين مصر وليبيا والمغرب وسوريا في كتابات العقيد ترومللي والمترجم العسكري آرنو والمؤرخ لويس رين ورواية مفتي دلس الحاج قارة، ولهذا فلن نتطرق إلى هذه الاختلافات لأنها لا تهمنا في موضوع جهاده ببلاد أولاد نايل[1].

يقول العقيد ترومللي أن الحاج موسى سنة 1829 كان موجودا بالأغواط التي دخلها وهو يرتدي خرقة عبارة عن "غرارة" وعاش فيها على الصدقات التي نالها من المحسنين ليصبح معروفا فيها وبأتباعه الذين بنوا له زاوية ومنحوه بستانين. ولم يلبث أن غادرها إلى مسعد بسبب عدم الترحاب الذي وجده من أتباع التيجانية وخصوصا قائدهم "أحمد بن سالم". أما "لويس رين"، فيروي أن الحاج موسى قد كان مؤذنا بالأغواط في مسجد "الأحلاف" ثم غادرها بعد أن شرع في الدعوة الجهادية التي لم تجد لها صدى هناك. وبالنسبة لرواية المترجم العسكري "آرنو" ، فان الحاج موسى وصل سنة 1829 إلى الأغواط التي مكث بها سنتين ووجد مضايقة من طرف قادة التيجانية فيها فغادر نحو مسعد التي سبقته شهرته إليها وطيلة مكوثه بالأغواط، كان الحاج موسى مؤذنا بمسجد الأحلاف ليشرع في الدعوة إلى الطريقة الدرقاوية بعدما وصلته رسالة من شيخه في طرابلس تأمره بذلك فوجد الصد والمضايقة من طرف التيجانيين ولم يتبعه سوى 04 أفراد من الأغواط وهم "بوهلة بن الحاج، عبد الرحمان" و"محمد" الذي تزوّج الحاج موسى بابنته كما تحدث الحاج قارة عن سفر الحاج موسى نحو غرداية وتنقلات واتصالات جمعته بالبليدة بشيوخ المقاومة في المتيجة

[1]- يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر العرب، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر 2004، ص 113.

وهم "الحاج الصغير بن سيدي علي بن امبارك" و"البركاني" و "بن سيدي الكبير بن يوسف" الذين دعوه إلى تحريض قبائل الصحراء على الجهاد المقدس[1].

تزامنت دعوة الحاج موسى إلى الطريقة الدرقاوية مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830. وقد وردت اليه رسالة من شيخه في طرابلس بأن يكون داعيا بين سكان الصحراء والتل فشرع في دعوة أهل الأغواط للانضمام إلى الدرقاوية ولكن دعوته قوبلت بالرفض من أهل الأغواط وقد أجابه شيخ قصر الأغواط أحمد بن سالم بالقول "نحن نتبع الطريقة التيجانية".

أما لويس رين فيذكر أن الغزو الفرنسي للجزائر كان له التأثير القوي على نفسية الحاج موسى فلم يجد بدا من تنظيم المقاومة ضد الفرنسيين وإعلان الجهاد غير أن ذلك اصطدم بالتأثير الطاغي للتيجانية بقصر الأغواط واعتقاد أهله أنهم في منعة من التهديدات ما أجبر الحاج موسى على مغادرة القصر وفي عين ماضي ثارت غيرة مرابطي التيجانية أمام انتشار دعوة الحاج موسى التي وجدت لها أتباعا بين أهل القصر والبدو منذ وصوله إلى الأغواط سنة 1829 فسببوا له المضايقات لينتقل بعد سنتين من ذلك إلى مسعد.

وخلال فترة وجوده بالأغواط (1829-1831) التقى الحاج موسى بمفتي دلس "الحاج قارة". فيذكر الحاج قارة أن الحاج موسى جاء إليه من الأغواط إلى المدية سنة 1247هـ (1831-1832) ونزل عنده بالمدية رفقة أتباع ألبسهم برانيس مرقعة وهم "بوهلة" و"عبد الرحمان بن علي" وهم من سكان الأغواط. كما توجه الحاج موسى رفقة أتباعه إلى الونشريس في زيارة دينية إلى الشيخ العربي بن عطية بن سعيد بن عبد الله. وفي اللقاء خاب ظن الحاج موسى في الشيخ العربي بن عطية الذي اعتبر دعوة الحاج موسى إلى الجهاد حيادا عن الصوفية ورغبة في السلطان. وقد أثر انتقاد العربي بن عطية في أتباع الحاج موسى الذين تخلوا عنه مباشرة بعد ذلك. وهكذا تهيأت الظروف القهرية بين مضايقات

[1]- يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص 115.

التيجانية وشيخ قصر الأغواط "أحمد بن سالم" وتخلي أتباعه من الأغواط عنه والصدّ الذي وجده لدى شيخ درقاويي الونشريس فكان الانتقال إلى مسعد ببلاد أولاد نايل لتبدأ السيرة الجهادية والدعوية ... للحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي.

المطلب الثالث : في بلاد أولاد نايل زعيما دينيا وقائدا عسكريا

تمثل سنة 1831 حدثا مهما في سيرة الحاج موسى، إذ يذكر العقيد ترومللي أنها السنة التي حلّ فيها الحاج موسى بقصر مسعد كأول محطة يستقر فيها ببلاد أولاد نايل. بل ويضيف ترومللي بالقول أن الحاج موسى غادر الأغواط إلى مسعد بناء على أمر من شيخ الشاذلية وكانت شهرة الحاج موسى قد سبقته إلى هذا القصر فوجد كل الناس تواقة لاستقباله وكان انخراط أولاد نايل في دعوته كثيفا فبنيت له زاوية وبيت لأنه نجح في نيل تقدير كل السكان الذين كانوا يرون فيه بمثابة مبعوث من السماء[1].

وفي قصور مسعد تعيش كل من أعراش أولاد عيسى الغرابة وبعض فروع أولاد سعد بن سالم وأولاد يحيى بن سالم وأهل القصور. وشكلت هذه الأعراش عضدا للحاج موسى الذي وجد الترحاب عند انتقاله إلى مسعد سنة 1831 ومكث هناك إلى غاية انتقاله سنة 1834 إلى الرباط الذي بناه بالقرب من قصر الشارف منطقة "عين" "الخضراء غير بعيد عن قصر الشارف[2].

ويصف المترجم العسكري آرنو بناء موقع "عين الخضراء" بأنه يشبه "تاقدمت" وهي أول قلعة عسكرية بناها الأمير عبد القادر في مكان حصين على بعد 08 كلم غرب مدينة و يظهر من خلال لأطلال عين الخضراء أنها تتشكل من . مسجد وسور فيه برجين ومجموعة من الديار ومهراس للبارود وهو موقع يحتاج إلى إعادة الاعتبار والتصنيف.

[1]- أبو لقاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 86
[2]- نفسه، ص 88

استقر الحاج موسى سنة 1834 في "عين الخضراء" وقد لاقت دعوته النجاح المنشود بهذه المنطقة حيث وفد عليه المريدون من كل حدب وصوب وسمحت له العطايا الكثيرة ببناء بيت ومسجد فاستقرار الحاج موسى وسط قبائل بلاد أولاد نايل الغنية والكثيرة سمح له بسهولة تجسيد مشاريعه الجهادية.

عندما أحس الحاج موسى بارتباط بعض أولاد نايل بطريقته سافر إلى المدية مع بعض أتباعهففي سنة 1249هـ (1833-1834) التقى الحاج موسى بالبليدة مع كل من الحاج الصغير بن سيد علي بن المبارك والبركاني وبن سيدي الكبير بن يوسف الذين حثوه على إثارة قبائل الصحراء على الجهاد وزيادة أعداد الثوار ويذكر الحاج قارة نفسه أنه قد حاول ثني الحاج موسى عن الجهاد ومحاربة فرنسا بإفهامه أن هذه الأخيرة قوية، ولكن دون جدوى.

وقد استطاع الحاج موسى يجمع حوله جيشا في عين الخضراء، يشكلمن ولاد نايل كما جند قبيلة عبازيز الشارف التي انخرطت بأكملها في الطريقة الدرقاوية بالإضافة إلى عرش الكرابيب من منطقة التيطري الذين راسلوه عدة مرات من أجل توسيع نطاق الجهاد وهكذا استطاع موسى بن الحسن الدرقاوي أن يجهز جيشا ينحدر جنوده من الصحراء سكان القصور وقبائل التل الأوسط و القبائل المحيطة بالمدية وهناك من يذهب إلى القول بأن كل قبائل التيطري قد انخرطت في جيش الحاج موسى الدرقاوي ومنها قبيلة "حسان بنعلي" التي التحقت بالحاج موسى عندما عسكر بالبرواقية[1].

في ربيع 1835 قرر الحاج موسى المسير بجيشه. وأعلن أن الجزائر العاصمة ستكون هي غنيمته واجتمع له 900 درويش مشاة و 400 فارس في عين الخضرة وكان أغلبهم لا يملك سوى العصي وبنادق عتيقة وفي طريقه إلى العاصمة كان جيشه يزداد عددا من أفراد

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (ق 16- ق20م)، ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 120.

الكثير من القبائل التي التحقت به ويوجد بينهم المتطوعين غير النظاميين. وقد مكث الحاج موسى بجيشه عند قبيلة المفاتحة أياما . وعند وصوله إلى مشارف المدية صار جيش الحاج موسى يضم 1200 فارس وكان وصوله إلى المدية في الأيام الأولى لشهر أفريل السكان 1835. وهناك طلب من فتح الأبواب لدخول المدينة وتسليمه اليهود والمزابيين لقتلهم فرفض السكان طلباته وراسلوا الجنرال "دروويإيرلون" طلبا لنجدتهم ولكنه لم يقدم لهم أي وعد بالمساعدة. وأعلنوا أنهم لن يسمحوا سوى لقائد الدرقاوة بالدخول وحيدا وأغلقوا الأبواب أمام حشود الدرقاويين التي تدعمت ببعض بعض القبائل المجاورة. فعسكر الدرقاويون بالقرب منها. وهناك من يرى أن الجيش كان معه حوالي 2000 مسلم وفاجأ المدية بالدخول إليها. وبعد فتح المدية بفترة وجيزة قرر الحاج موسى المسير الى الجزائر لتحريرها ولكن القدر كان يخفي دسيسة نجح الفرنسيون في نسجها فوقعت معركة بين جيشي الأمير عبد القادر والحاج موسى.

عند الحديث عن موقعة حوش" وامري" الدامية بين الأمير مير عبد القادر والحاج موسى، تتجلى لنا عدة أسئلة دفعة واحدة حول العوامل التي أدت إلى ذلك رغم كل الظروف المحيطة بالرجلين من وجود عدو مشترك محتل اسمه فرنسا ووجود أعداء داخليين متحالفين مع فرنسا إضافة إلى التنشئة الصوفية لكليهما وغيرتهما على العناصر المشكلة للهوية الإسلامية، إضافة إلى كونهما قائدين بعزيمة جعلتهما يحاربان فرنسا طيلة 17 سنة على الأقل.

والإجابة عن التساؤلات السابقة تحيلنا مباشرة على التخطيط الذي اعتمده الفرنسيون والمتمثل في سياسة "فرق تسد" لأن فرنسا كانت تعاني في السنوات الأولى لاحتلال الجزائر. ففي إقليم الجزائر والتيطري كان الوجود الفرنسي لا يتجاوز الجزائر العاصمة . مع بعض الحملات الفاشلة خارجها. وبرز الحاج موسى كأول مجاهد حاول توحيد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في منطقة الوسط كما أشرنا سابقا. وهكذا فإن الخطر الفعلي الذي صار يُهدد فرنسا في الوسط هو ذلك المد الصاعد إليها من بلاد أولاد نايل انطلاقا من عين

الخضرة وجارفا إلى صفه كل قبائل التيطري بقيادة موسى بن الحسن الذي قلنا أن له علاقات مع قادة شرشال ومليانة والمتيجة. فكان لابد من التعامل مع الظروف الطارئة بمكر وحيلة برز فيها المستشار اليهودي جودا بن ديرون" باستغلاله اتفاقية الهدنة بين الأمير وحاكم وهران الجنرال ديميشال والذي بموجبه يمنع ا الأمير من التحرك خارج إقليم وهران. وبمجرد مسير الأمير عبد القادر إلى التيطري لمحاربة موسى الدرقاوي (في آفريل 1835 كما أشرنا)، كان الحاكم العام ديرلون سيوافق على مقترح حاكم وهران الجديد، الجنرال "تريزال ، بالمسير إلى معسكر كرد فعل على مسير الأمير إلى الدرقاوي لمحاربته خلافا للحدود المرسومة بموجب معاهدته مع الحاكم السابق الجنرال "ديميشال". ولكن مستشار الحاكم العام، اليهودي "ديرون"، سحره بأن أشار عليه بعدم تأديب الأمير وتركه ليعبر الشلف لملاقاة موسى بن الحسن الدرقاوي وهنا تظهر جليا نبوءة الجنرال "ديميشال" في تبريره لعقد معاهدة سلام مع الأمير عبد القادر حيث قال في مذكراته من المؤكد أنني أستطيع محاربة العرب ببعضهم البعض"[1].

تفاصيل الواقعة كانت بدايتها يوم 20 آفريل عندما منه وعلى مسافة انطلق الأمير من مليانة. وفي يوم 03 فراسخ (15 كلم) من "أرباع جندل"، نواحي "وامري" بالقرب من "حوش عمورة"، التقى الأمير بالدرقاوي ولكن لحربه. فكان نصرا ساحقا للأمير الذي فقد 50 رجلا. ثم انطلق الأمير إلى معسكر كما أن الأمير قد أسر زوجة وابنة سي موسى وعاملهن باحترام ثم ألحقهن بسي موسى بعد موقعة المدية ضد الأمير عبد لجأ موسى بن الحسن الدرقاوي إلى الصحراء القادر، بينما يذكر لويس رين أنه لجأ من جديد إلى مسعد وأعاد من هناك تنظيم دعوته الجهادية.

1- الجانب الدعوي للحاج موسى بن الحسن ببلاد أولاد نايل:

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 126.

على عكس باقي المناطق الذي حل بها الحاج موسى، فإن نشاطه الدعوي كان حافلا ببلاد أولاد نايل التي شجع بها إنشاء الزوايا. فإذا عرفنا أنه كانت له زاوية واحدة بالأغواط سرعان ما غادرها وزاوية في بني يعلى بمنطقة القبائل الصغرى وزاوية في متليلي، فإننا سنجد أنه في بلاد أولاد نايل قد بنى زاوية لأتباعه في قصر مسعد ورباطا بعين الخضراء غير بعيد عن قصر الشارف يكتسي الصبغتين الجهادية والدينية. كما أنه هو من أوصى ببناء مقرأة "الحاجب" لتحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية ومسجدها حيث تقع جنوب غرب مدينة الجلفة (حوالي 50 كلم وهي قريبة من قرية "الهيوهي" حاليا التابعة لبلدية تعظميت وفي أقصى شمال بلاد أولاد نايل، يذكر المؤرخ "جولي" أن الحاج البشير العبزوزي، أحد أتباع الحاج موسى، كانت لديه مدرسة قرآنية بمراتع قبيلة "رحمان"[1].

2- الحملات الفرنسية ضد أتباع الحاج موسى ببلاد أولاد نايل:

لقد صار الحاج موسى مصدر قلق للسلطات الفرنسية وأتباعها مع اتساع نطاق أتباعه في بلاد أولاد نايل وقبائل المدية وفي زمورة ببني يعلى بالقبائل الصغرى. وهذا الوضع جعل الحاج موسى مطاردا مع أتباعه من طرف شتى الحملات الفرنسية وأكثرها في بلاد أولاد نايل[2].

يذكر المترجم العسكري الفرنسي "آرنو" معلومة مهمة جدا حول جهاد الحاج موسى بداية الأربعينات. إذ يشير إلى أن الحاج موسى كان في المدية سنة 1840 عند أتباعه من قبيلة "بني حسن" ثم توارى إلى عين الخضراء بعد احتلال المدية من طرف الفرنسيين. وعند الحديث عن أتباع الحاج موسى في التيطري فإنه تتجلى أمامنا شخصية أهم قادته وهو سي قويدر التيطراوي الذي عينه الحاج موسى خليفة له في التيطري بعد موقعة المدية في آفريل 1835 كما عرفنا سابقا. وسيرته تهمنا باعتباره كان أحد أقطاب الحركة الجهادية التي نظمها

[1]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1971، ص 109.

[2]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر(د.ت)، ص 92.

الحاج موسى الدرقاوي، وقد انتقل سي قويدر للجهاد في بلاد القبائل إلى أن استشهد سنة 1855. ويذكر المؤرخ الفرنسي لاديمير أنه قد وقعت معركة بالقبائل الكبرى قتل فيها الشيخ سي قويدر ونكل رماة عمراوة بجثمانه وتمكنوا أيضا من إصابة ابنه المختار ثم قطعوا رأسه الذي سُلّم للسلطات الفرنسية وهو محفوظ إلى الآن في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي بباريس[1].

بعد إلقاء القبض على سي قويدر التيطراوي في الخشم بنواحي وسارة سنة 1843 ثم أسره ونفيه إلى كورسيكا، بدأت تشتد المطاردة الحثيثة ضد الحاج موسى. حملة الجنرال ماري مونج نحو بلاد أولاد نايل سنة 1844. ويشير المترجم العسكريآرنو إلى أنه بظهور مونج في زاغز (1844) لجأ موسى إلى فنظمت بني يعلى ومكث بها 03 سنوات ليقود هناك ثورات عديدة. ومع بني يعلى توسع انتشار السلطة الفرنسية إلى مواقع قبيلة وانتشار حملاتها العسكرية مهددة كل منطقة القبائل، عاد سي موسى إلى مسعد[2].

لم يكد يضع الحاج موسى قدميه ببلاد أولاد نايل، وبالضبط في مسعد بداية 1847 اثر عودته من بني يعلى، حتى تشكلت حملة أخرى قادها بصفة شخصية الجنرال ماري مونج الذي توغل إلى غاية مسعد بغرض إلقاء القبض على قائد الدرقاويين. ورغم أن الثمن الباهض الذي دفعته المنطقة في السنوات السابقة، إلا أنها ضلت وفية للجهاد وقادة المقاومين وها هي تحتضن بقوة الحاج موسى الذي خرج من مسعد مطاردا وعاد إليها من القبائل الصغرى مطاردا وسيغدو مطاردا مرة أخرى. ويذكر الملازم مونجان، أن الجنرال ماري مونج قاد في شهر فيفري 1847 حملة انطلقت من جنوب المدية من أجل أن يقمع ثورة كانت ستبدأ بقيادة موسى بن الحسن. وقد تمكن الحاج موسى من النجاة من القبض عليه في مسعد فلجأ بسرعة إلى متليلي التي سبقته إليها شهرته فاستقبله أهلها بحفاوة. كما

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 95
[2]- المرجع نفسه، ص 95.

يذكر آرنو أن الجنرال يوسف قد نفذ حملة عسكرية في آفريل 1847 بهدف توسيع سيطرة الفرنسيين على المنطقة التي مازالت تحت تأثير الحاج موسى[1].

وفي سنة 1848 تم تنفيذ حملة ضد قبائل أولاد نايل الموالية للحاج موسى. فتم إرسال قوم من 300 فارس من بوغار ثم تبع ذلك حملة أخرى قوامها 300 حصان من المدية نفّذت غزوات ضد أولاد نايل غير أن الحملتين لم تنجحا في الوصول إلى كل قبائل المنطقة فصارت محل شبهة لدى السلطة الفرنسية ونتيجة لذلك عوقبت قبائل المخزن التي قادت الحملة وتم سجن كل من القياد بن عودة وابنه بوديسة ومحي الدين في سجن سانت مارغريت. وهكذا يتضح جليا أن فرنسا كانت حثيثة في طلب رأس الحاج موسى وأنها لا تغفر حتى لأتباعها إذا فشلوا في ذلك مهما قدموا من عرابين الولاء وفروض الطاعة.

كما تذكر صحيفة "المبشر" أنه في ماي 1848 وبالتوازي مع حملة الجنرال مونج ببلاد أولاد نايل، كان الآغا بن يحيى قائما على جمع الزكاة والغرامات المفروضة على أولاد نايل الشراقة ومعه 500 فارس بينما كان جيش الآغا بن داود يحارب المجاهدين (المفسدين كما تسميهم الصحيفة خصوصا من أتباع الحاج موسى الذي وصفته "المبشر" بأنه هو "سبب إنشاء الهلاك والضرر بهذه النواحي سابقا"[2].

وهكذا يتضح جليا لنا أنه قبيل استشهاد الحاج موسى بالزعاطشة، كانت تنقلاته كثيفة بين متليلي ومسعد وأن أتباعه بقوا أوفياء له رغم كثرة الضربات والحملات. ذلك آرنو في المجلة الإفريقية بالإشارة إلى أن كان يتردد كثيرا بين متليلي وبلاد أولاد نايل من ويوضح موسى أجل جمع العطايا أو استقبال أتباعه الجدد.

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 96.
[2]- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، دار الشرق، بيروت(د.ت)، ص 37.

3- استشهاده مع فرسان أولاد نايل بواحة الزعاطشة

لقد حسمت فرنسا أمرها مع الحاج موسى بن الحسن وقررت القضاء عليه وعلى أتباعه في بلاد أولاد نايل. فسبق أن أشرنا إلى حملة الجنرال ماري مونج سنة 1847 ثم الرابعة سنة 1848 وحملة الجنرال يوسف الثانية سنة 1847 وحملات أتباعها بقيادة كل من بن يحيي وبن داود وبن عودة وبوديسة ومحي الدين. غير أن حملة الجنرال لادميرو ستكون هي أهم وأكبر حملة لإضعاف الحاج موسى وأتباعه[1].

ويشير الملازم مونجان إلى الظروف التي أدت إلى تشكيل حملة الجنرال لادميرو في ربيع 1849 فيذكر بداية تشكل انتفاضة سرية في جنوب المدية برز فيها الحاج موسى بدخوله الأغواط واستقباله من طرف السكان بترحاب وحتى الخليفة أحمد بن سالم أرسل إليه هدايا فاخرة. وفي نفس الفترة بدأ بوزيان بتحريض الزعاطشة من أجل أن يقود مقاومة عامة أعطاها طابعا دينيا بتوجيه النداء إلى الزوايا والطرق الدينية وقد أرسل إليه سي موسى من المتطوعين. أما التلي بلكحل الآغا السابق لدى الأمير، فقد حرّض هو الآخر بعض بطون أولاد نايل ومنهم أولاد سي أحمد، وقد عسكر في نواحي مسعد بسبب عجزه عن الوصول إلى بوزيان. هذا الوضع لفت انتباه الحاكم العام الذي أمر في ماي و جوان بتكوين حملة من تحت قيادة الجنرال لادميرو[2].

وقد توغل الجنرال لادميرو الى مسعد أين تهديم دار الحاج موسى في هذه الدار كان الحاج موسى قد تزوج ثانية وسكن مطمئنا بقصر مسعد وأكدت صحيفة "المبشر" دخول الجنرال لادميرو إلى قصر مسعد في جوان 1849.[3]

ويذكر آرنو أن الحاج موسى قد اتخذ من متليلي مقرا لربط علاقات مع الأوفياء لطريقته وتكثيف المراسلات مع أهم زعماء الطرق الدينية بل إن الحاج موسى هو صاحب مشروع

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص98.
[2]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 40.
[3]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 43.

توحيد كل الطرق الدينية في طريقة واحدة وأثناء ذلك كان يتردد باستمرار على أولاد نايل. وبعد اقتحام واحة الزعاطشة والمجازر التي ارتكبت فيها، خصوصا الشنائع التي اقترفها الزواف، نجد الجنرال ايربيون قائد الحملة يشير في مذكراته إلى أنه وجد من بين القتلى جثمان المرابط سيدي موسى الذي استشهد من بين الذي مع ثمانين مجاهدا جاؤوا معه من الغرب وبطبيعة الحال فإنه يقصد بلاد أولاد نايل[1].

ويذكر الرائد سيروكا إحصاء لعدد شهداء الزعاطشة المسلمين يوم الاقتحام 26 نوفمبر 1849 الذين بلغ عددهم 476 شهيدا مفرقين على عدة قبائل ومدن حيث أن شهداء أولاد نايل هم ا الأكثر عددا بمجموع ثمانين شهيدا سماها سيروكا كتيبة "الحاج موسى". كما يذكر الجنرال ايربيون أنه قد عثر على شهداء من مكة المكرمة والمغرب وتونس. وقد قام السفاح ايربيون بعرض الرؤوس المقطوعة لكل من شيخ واحة الزعاطشة بوزيان وابنه والحاج موسى بن الحسن الدرقاوي.

المبحث الثالث : موقف الطريقة السنوسية و التجانية

المطلب الأول : موقف السنوسية

1- التقاء محمد عبد الله بالشيخ محمد بن علي السنوسي في الحجاز:

التقى الشريف بن عبد الله بالشيخ السنوسي، وحسب أبو القاسم سعد الله بأن السنوسي طرده الفرنسيون، والمعروف بأنه خرج من الجزائر نحو المغرب ثم إلى الحجاز[2]. فأسس زاوية أبي قبيس سنة 1837م التي كانت بمثابة ملجأ للجزائريين[3]، عملت على توحيد صفوفهم والاستعداد للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي[4].

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 99
[2]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 156.
[3]- يحيى بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص: 152
[4]- صالح بوسليم وميلود ميسوم، المرجع السابق، ص .23

نظرا لتسارع الأحداث في الجزائر وجد كل من محمد بن علي السنوسي ورفيق دربه محمد بن عبد الله الفرصة المواتية حيث ظهر ابن الناصر بن شهرة[1] سنة 1846م، وقامت ثورة الزعاطشة سنة 1849م بالإضافة إلى ظهور مقاومات أخرى، وهذا ما دفع محمّد بن علي السنوسي أن يطلب من الله أن يعجل الرحيل إلى الجزائر، ويشرع في تنظيم الثورة ريثما يلتحق به إلا أنّ الظروف ذلك، وعمل على إرسال تلاميذه هم محمّد بن الشفيع عمر الفضيل المعروف بأبي حواء، الشيخ أبو خريس الكزة، بالأسلحة والمال وتحريض أتباعه في الجزائر على القتال[2].

وقد شهدت الصحراء الجزائرية العديد من الثورات منها ثورة الشريف محمد عبد بن 1895م شملت المناطق الواقعة جنوب بسكرة (ورقلة–تقرت–الأغواط).

2- دوافع قيام ثورة الشريف بن عبد الله:

تعددت الدوافع و الظروف التي دفعت بن عبد الله للثورة منها:

- الضغوطات التي تعرض لها محمّد الله عبد السلطات الفرنسيّة هذا ما أدى به إلى تغيير نظرته اتجاههم[3].

- مغادرة محمد بن عبد الله الجزائر متوجها صوب الحجاز[4]، والتقى بمحمد بن الذي شجعه على القيام بالثورة ضد الاستعمار الفرنسي بالجزائر[5].

[1]- ابن الناصر بن شهرة: ولد بالأرباع قرب مدينة الأغواط عام 1804م، تعلم وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الفقه على مشايخ الطريقة القادرية ورشح عام 1846م لمنصب أغا على الأرباع خلفا لأبيه، تزوج في مطلع شبابه من ابنة سلطان الأغواط (أحمد بن سالم)، ولما احتل المستعمر الفرنسي الأرباع رفض العيش تحت ظل المستعمر واختار لنفسه الصحراء مأوى لحمل السلاح، وفي سنة 1852م توجه إلى مدينة ورقلة واستقر بالرويسات وبدأ من هناك حركته الثورية، بعدها لجأ إلى منطقة الجريد بالجنوب التونسي، واستمر من هناك يشن الغارات على الفرنسيين من داخل الحدود الجزائرية، ثم بعد رحل إلى تونس ثم إلى غرب طرابلس واستمر على منازلة جيش المستعمر حتى أرغمه باي تونس على الرحيل، وتوفي سنة 1884م. ينظر : بشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م، ج 2، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2010، ص .81

[2]- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا المرجع السابق، ص: 41.

[3]- يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين المرجع السابق، ص: 511.

[4]- الحجاز: سمي حجز بين الغور والشام وقيل حجز بين نجد والسراة وقالوا بلاد العرب من الجزيرة التي نزلوها على خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد، لأنه أقبل من اليمن، وهو أعظم جبال العرب حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازا. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص:188.

[5]- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص: 121.

– توغل الفرنسيين في أعماق الصحراء، وارتكابهم جرائم في واحة الزعاطشة سنة 1849م[1].

– نهاية مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847م، والحاج أحمد باي[2] سنة 1848م مما شجعه على القيام بالمقاومة في الصحراء ضد الاحتلال الفرنسي ما أطال الاستمرارية نضاله[3].

3– الشريف محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة واستماله للقبائل:

عاد الشريف محمد بن عبد الله من الحجاز في أواخر عام 1849م، بمباركة من محمد بن علي السنوسي، فأخذ طريقه إلى طرابلس مع حاكمها عزت باشا[4]، ووصلوا إليها أوائل عام 1850م[5].

هناك اتجه إلى سوف عبر غدامس[6]، وتقرت، واستقر به المقام بزاوية الرويسات[7]، قرب ومن ورقلة[8]، وكان محمد بن علي السنوسي قد رجع هو الآخر من الحجاز ومكث بطرابلس وبدأ يراسله هناك، ويراسل أتباعه لتأييده في حركته، ومن ضمن من راسلهم زعيم من المخادمة عبد الله بن خالد طلب منه أن يساند محمّد بن عبد الله[9] وخير دليل على ذلك ما

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1860-1900م، ج.1، المرجع السابق، ص: 177.

[2]- الحاج أحمد باي: ولد عام 1782م ينحدر من أم جزائرية من عائلة بن قانة في منطقة بسكرة، وأب تركي، تعلم الفروسية وتدرب على القتال، في مطلع شبابه سافر لأداء فريضة الحج، وعندما عاد عين في منصب "خليفة الباي" في قسنطينة سنة 1817م، شغله لمدة ثلاث سنوات، ثم عزل ولم يعد لتولي المسؤولية إلا في سنة 1826م، حين عينه الداي حسين باشا بايا على قسنطينة، بقى مدة 22 سنة في الحكم، عرفت إدارته الاستقرار إلى حد كبير، فأخضع معظم القبائل الكبرى إلى حكمه وأعاد تنظيمها الإداري مثل قبيلة عبد النور وقبيلة العلمة، وكان وافيا للخلافة والسلطان العثماني. ينظر : الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث عن الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، د.ط، 2007، ص ص 151 152.

[3]- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، الجزائر، د.ط، د.س، ص:232.

[4]- الحاج أحمد عزت باشا: بعد خدمته في الجيش عمل واليا على أدنه وديار بكر وأرض روم وسيواس، وفي عام 1848م نصب واليا على طرابلس ثم عزل عام 1852 وعاد ثانية واليا على طرابلس أيضا. ينظر : عبد الرحمن تشايجي، المرجع السابق، ص: 61.

[5]- عبد القادر شرشار دور الحركة السنوسية في مقاومة الشريف محمد : بن عبد الله، المرجع السابق، ص: 177.

[6]- غدامس: ويقال لها "ردامس" وكانت تسمى قديما "سيداموس" هي مدينة بربرية قديمة لا يعرف تاريخ تأسيسها بالتحديد، واحة من واحات طرابلس الصحراوية، ومركز من أقدم مراكز الحضارة فيها وتبعد عنها إلى الجنوب الغربي بنحو فالوت بنحو 218 كم، وقد اتخذها الكاهنة البربرية في عهدها منفى للقتلة والمجرمين احتلها القرطاجيون سنة 795ق.م، واحتلها الروم سنة 19 ق.م وفتحها العرب بقيادة عقبة بن نافع سنة 49هـ ، وفي سنة 1225هـ - 1810م ثارت غدامس على الحكم التركي، فتوجه إليها علي القرملي فقضى على الثورة، وعين حكما لها. ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، المصدر السابق، ص ص: 242. 241.

[7]- الرويسات: تبعد 6 كلم من الناحية الغربية، وهي مجموعة من أربعين منزلا مبنية بغابة من النخل وعلى أرض جد خصبة فيها أقدام بينها وبين ورقلة. ينظر : المشير دوك دي دوماس، الصحراء الجزائرية، مستنقعة وفيها آبار عميقة نوعا ما بقدر خمس إلى ست تر قندوز عباد فوزية دار غرناطة، الجزائر، د.ط، 2013، ص: 107.

[8]- عثمان سعدي الجزائر في التاريخ، دار الأمة الجزائر، د.ط، 2013 ، . ص : 568.

[9]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص: 153.

جاء في رسالته: "هو رجل تقي يخشى الله، عظيم في التل[1] حيث اعترفت به أهم القبائل في في الغرب على أنهم قائدهم". واستقبل الشريف محمد الله بكل احترام كمرابط[2] وشريف[3].

كان الوضع السياسي في الصحراء يساعد على قيام حركة محمد بن عبد الله، فقد توفي الحاج بن باية "سلطان" ورقلة سنة 1850م، والسلطة حينها كانت بيد للا زهرة وولد عبد الله خالد، أمام هذا الوضع يذكر أبو القاسم سعد الله : "أنّ السنوسي قد أوصى الشريف خيرا بللا زهرة، والاستعانة بها"، ومن ثمة نقرأ في المراجع: أنّ السيدة زهرة عرضت السلطة في ورقلة على الشريف فقبلها وسمى نفسه أو سمته هي "سلطان ورقلة"[4]، وخير دليل على ما جاء على لسانها "...محمد بن عبد الله سيكون سلطانا مفزعا للمسيحيين فلا بد أن ويصير يقع ذلك"[5].

ومما يؤكد دعم السنوسية للجهاد هو ما عثر عليه الباحث أحمد الصدقي الدجاني في خطاب أرسله أحد تلاميذ الشيخ محمد بن علي السنوسي من الجزائر إلى مدير غدامس وخير دليل ما جاء في قوله: "... وأما أنا عبد الله حين قدمت بلاد ورقلة، ففتح الله علينا بها وصارت مُحمدية بعدما كانت في يد الرومي[6] دمره عبده مخذولا مذموما، لكن من بركة الشريف شيخنا سيدي محمد بن علي السنوسي، ونفعنا وإياكم به أمين، وصاروا عربان ورقلة وقصورها، وقبائل الشعانبة[7]، وقصور تقرت، وعربانها والأرباع الخرازلية[1] والحجاج وكثير من

---

[1]- التل: مشتقة من اللاتينية Tellus تعنى أرض زراعية تطلق على الشريط الخصب الذي يمتد على طول الساحل. ينظر : فليكس جاكو، حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، أفريل-ماي 1847، تر: حليمة بابوش، الرائد للكتاب، الجزائر، د.ط، 2013. ص: 14.

[2]- مرابط: جاءت من رباط، وهي المكان المحصن الذي يسكنه رجال الدين العسكريون ، وقد ظهرت الرباطات لأول مرة في المغرب في القرنين القرنين السابع والثامن الميلاديين وفي بداية القرن الحادي عشر أسس هؤلاء دولة المرابطين وبعد سقوط الدولة المرابطية في القرن الثاني عشر، عادت مجموعات المرابطين من إسبانيا إلى المغرب، واتجه بعضهم شرقا، فاستقروا في طرابلس وبرقة، أما على الرقعة الليبية فإن الرباطات كانت تقام على طول الشاطئ وعلى الحدود الجنوبية فلم تكن تؤدي فقط وظيفة المراكز الدفاعية بل والمراكز الدينية، وفيها كان يتم إعداد (الصوفيين) الذين كان يعهد إليهم نشر الإسلام إلى الجنوب من الحدود الحالية لليبيا. ينظر : نيكولاي إيليتش ،بروشين تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969 ، تر عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط.2، 2001م، ص: 49.

[3]- س. ترومللي، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، تر : محمد المعراجي، دار غرناطة، الجزائر، د.ط، 2013، ص : 82.

[4]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، المرجع السابق، ص: 357.

[5]- س. ترومللي، المصدر السابق، ص: 85

[6]- الرومي: تعني ا النصراني. بيب. ينظر : ليون ،روش المصدر السابق، ص: 167.

[7]- الشعانبة: هم جماعة من متليلي وورقلة، لهم قيادة خاصة بهم، اختلفوا في نسبهم منهم من يقول من بني سليم، والبعض يقول بني مزروع. ينظر : إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، دار ثالة، الجزائر، ط2، 2009، ص: 373.

من عربان الظهيرة وقصور بني مزاب[2]، كلهم تحت طاعة الله ورسوله وطاعتنا والمجاهدين كل يوم في الزيادة..."[3]

هكذا جعل ورقلة قاعدة لنشاطه التوسعي في الصحراء، فحاول إخضاع أبو حفص بن باية شيخ نقوسة[4] لسلطة ورقلة، إلا أنّ هذا الأخير فر إلى تيارت[5] سنة 1851م، بعد غزو محمد بن عبد الله قبيلة أولاد مولات وغنم حوالي 800 بعير[6].

4- التوسع إلى تقرت ومد نفوذه نحو الأغواط:

بعد النجاح الذي حققه الشريف كان طموحه يزداد، ففكر في السيطرة على تقرت، وفي نوفمبر 1851م جرت معركة بينه وبين سلطان بن جلاب[7] الذي قتل فيها 80 رجلا، وغنم 25 حصانا، ولم يخسر محمد بن عبد الله إلا 25 رجلا وبهذا ازدادت شهرته مما جعل قبيلة الأرباع تراسله للقضاء على القرارة[8] وبريان[9].

غادر محمّد بن عبد الله تقرت، متجها إلى جبال عمور[10] لجمع المزيد من الأنصار والأتباع، كما صادر أملاك عائلة شيخ نقوسة واعتقل أفرادها كالشيخ بوحفص وأخوته وسجنهم بالرويسات[11]، وفي شهر ديسمبر 1851م غزا دوار أولاد ساعد بن سالم في أولاد

---

[1]- الخرازلية: تخيم بالرباعي الأضلاع الموجودة بين سيدي خالد، تقرت، بني مزاب، العريوات، وتنقسم إلى جزأين: هما أولاد سيدي سليمان أولاد سيدي يحيى. ينظر : المشير دوك دي دوماس، المصدر السابق، ص: 71.

[2]- مزاب : عاصمتها غرداية ويشمل المدن الميزابية سبعة غرداية، بني يزقن بونوره مليكة القرارة، العطف وبريان. ينظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر المطبعة العمرية الجزائر، د.ط، 1931، ص: 226.

[3]- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، المرجع السابق، ص: 41

[4]- نقوسة موجودة على بعد 24 كلم بالشمال الشرقي من ورقلة ، وهي مدينة صغيرة، بها خمس أبواب: باب زغابة، باب العلوش، باب تالموناست، باب القصبة باب عين زرقة. ينظر : المشير دوك دي دوماس، المصدر السابق، ص: 116.

[5]- تيارت تيهرت مدينة مشهورة من مدن الغرب الأوسط ، وتاهرت في سفح جبل قزول وعلى نهر كبير يأتيها من ناحية الغرب، ولها ثلاث أبواب : باب الصفا وهو باب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن ومن لواتة وهوارة في قرارات، وبغربيها زواغة وبوجد فيها أعراش من مطماطة وزناتة ومكناسة، ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص: 126.

[6]- محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1930)، دار السبيل، الجزائر، د.ط، 2008، ص:312.

[7]- بن جلاب تأسست في مدينة تقرت في قرن ،10 ، واستولوا على وادي ريغ. ينظر : عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر في العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط.1، 2003، ص: .301

[8]- القرارة : أجمل الواحات الميزابية من حيث شكلها، تبعد عن العطاف 90 كلم في جهة الشمال الشرقي. ينظر: محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954 ، ط.خ، 2008، ص: 192.

[9]- س ترومللي، المصدر السابق، ص ص: 93، 94.

[10]- جبال عمور أكثر ارتفاعا ورطوبة تقطنها جماعات تخصصت بزراعة الحبوب ورعي الأغنام أعلى نقطة فيها بوبرفة. ينظر : أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري في 1808–1845م، ج.1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط.2، 2004م، ص: 26.

[11]- يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرون المرجع السابق، ص: 154.

نايل[1]، ومن ثم قصد بريان الميزابية[2]، وكاتب باقي مدن مزاب الأخرى طالبا منهم الاستسلام، لكنهم رفضوا وأجابوه " بأنه إن اقترب سيحاربوه، لكنه إن كان قويا إلى درجة أنه يطرد الفرنسيين، سيفضلونه على أي سلطان آخر" وبهذا رجع إلى ورقلة وعين الشيخ الطيب بن باية شقيق الشيخ بوحفص على نفوسة[3].

ركز محمد بن عبد الله على الأغواط من وجهته الثانية بعد ورقلة التي كان ينظر إليها على أنها طريدة لابد أن تقع في يوم من الأيام بين يديه تعطيه هكذا قدما في الشمال، مما ساعده على تزايد نفوذه المادي والمعنوي إلى توسيع حركته سنة 1852م، التقى بالباشا آغا[4] آغا[4] سي الشريف بلحرش والخليفة بن سالم[5] (خليفة الأغواط) وآغا جبل عمور بعد أن وحدوا جهودهم لمهاجمة الشريف بن عبد الله، لكن الأرباع رفضوا مقاتلته بعد أن عرفوا حقيقته ومدى حرصه على محاربة الاحتلال الفرنسي، وعليه فلم يواجهه سوى الشريف بلحرش خوفا من نفسه، وإبراز مدى ولائه لفرنسا[6]، ومن ثم دعمته قبائل الأرباع بالأغواط من من طرف قائدها الناصر بن شهرة الذي لقاه في ورقلة، هذا ما جعل السلطات الفرنسية تتخوف منه[7].

5- استحواذ الفرنسيين على الأغواط 1852م:

[1]- أولاد نايل: تتكون من قبيلة كبرى تنقسم إلى جزأين هما: أولاد نايل الشراقة الشرقية وأولاد نايل الغرابة الغربية. ينظر: المشير دوك دي دوماس، المصدر السابق، ص: 208.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية الجزائر، د.ط، 2007، ص: 69.

[3]- اس ترومللي، المصدر السابق، ص: 96.

[4]- آغا: اسم تركي يعني كبير، ر، أغا (ج) أغاوات: له المرتبة الثانية في السلطة القضائية والعسكرية. ينظر: ترومللي، نفسه، ص:61.

[5]- أحمد بن سالم : ينتمي إلى أسرة مرابطة في منطقة القبائل، كان له دور كبير في مقاومة الأمير عبد القادر، اشتهر بعمله وفضله وتقواه عينه الأمير خليفة على المنطقة سنة 1837م، وظل يجاهد تحت إمرته مدة عشر سنوات، وفي سنة 1844 سلم نفسه إلى الفرنسيين بصور الغزلان. ينظر : فريدة فاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر (1832-1847) مؤسسة، عنابة، الجزائر، ط.1، 1433هـ - 2012م، ص: 184.

[6]- سعود دحدي ، ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي (1842- 1895)، مجلة الباحث الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، جوان 2010، ص: 199.

[7]- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 192.

قرر راندون Randon[1] سنة 1852م بالسيطرة على الجنوب لتأمينه من التل، فجند ثلاث فرق[2] قائد الحملة غرب البلاد تحت قيادة الجنرال بليسي Le Générale Pèlissier[3] والجنرال بوسكرين Le Générale Bouskarene وجيش من الشمال بقيادة الجنرال يوسف Yusufوجيش آخر من بوسعادة بقيادة الرائد بان pein،[4] وعليه خاض محمّد بن عبد الله معهم معركة في عين الرق قرب غدير مزي[5]، فهبت البلدة في وجه الغزاة المحتلين وقتل عدد عدد كبير من الفرنسيين منهم ضباط كبار في الجيش الفرنسي على يد المقاومة التي ظلت تدافع على المدينة، كانت خسائر هذه المواجهة ضد الفرنسيين 2500 شهيد من أهل البلدة من مجموع 3600 ساكن أي مدينة أربعة أيام بعد سقوط الأغواط يوم 4 ديسمبر 1952م، وبالفعل أصبحت المدينة مخربة أكثر من ومحطمة.

حاول الجنرال بيليسي أن يجعل من الأغواط عبرة للمدن الصحراوية الأخرى[6]، حيث قتل من الجزائريين حوالي 800 رجلا، وجرح محمد عدد الله فانسحب مع من مقاتليه إلى ورقلة، وشارك في الهجوم على الأغواط سي حمزة الذي عينه الفرنسيون بعد ذلك خليفة على المنطقة الممتدة بين الجلفة[7] والحدود المغربية[8]. وعمل الماريشال راندون ببعث برنامج من خمس نقاط إلى الجنرال مارغريت Margueritte القائد الأعلى لمدينة الأغواط تضمن ما يلي:

---

[1]- راندون Randon قائد فرنسي من مواليد غرونوبل (1795-1871)، قام بدور كبير في حروب الجزائر التي برز فيها اسمه، وهو الذي قمع ثورات منطقة القبائل، وأصبح وزيرا للحربية طوال الفترة من سنة 1851 إلى سنة 1867. ينظر: بسام العسلي، محمد المقراني و ثورة 1871 الجزائرية، دار النفائس الجزائر ، ط. خ، 1431هـ - 2010م، ص: 105.

[2]- بن عتو بليروات الاحتلال الفرنسي للأغواط وضواحيها سنة 1852م وجرائمه مجلة العصور الجديدة، العدد 06، 1433هـ - 2012م، ص: 44.

[3]- الجنرال بيليسي : Le Générale Pelissier ماريشال فرنسا، من مواليد (1794-1864) بماروم، أصبح سفيرا لفرنسا في لندن سنة 1858، وتم تعيينه سنة 1860 حاكما عاما على الجزائر. ينظر : بسام العسلي، محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، المرجع السابق،ص:63.

[4] -E. Mangin, Notes sur l'histoire de l'Aghouat in RA, N°38, 1894, P: 98.

[5]- بن عتو بليروات، المرجع السابق، ص: 44.

[6] - (Mangin, Notes sur l'histoire de l'Aghouat in RA, N°38, 1894,P: 100.

[7]- الجلفة: من أكبر المراكز الجنوبية ترتفع 1153مترا عن سطح البحر، أسست مركز حربي سنة 1852م في مفترق الطرق بين الأغواط وآفلو وبوسعادة. ينظر : أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص: 216.

[8]- يحي ! بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين المرجع السابق، ص: 156.

1- توفير الإمكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتمام السيطرة على كامل البلاد(الجزائر).

2- جعل من الأغواط مدينة كبيرة (مركز سياسي وتجاري) حتى تثبت لسكان الصحراء مدى القوة الفرنسية، التي تستطيع أن تحطم ثم تبني.

3- تطوير الثقافة الفرنسيّة، وربط الأهالي بالأرض وجعل القصور المحيطة بالأغواط مزدهرة وغنية .

4- تطوير تجارة الأصواف (الصوف)، ومن ثم تحسين السلالة الغنيمة.

5- تمتين العلاقات أقصى جنوب الجزائر[1].

المطلب الثاني : موقف الطريقة التجانية

لقد أدى تخريب مدينة عين ماضي إلى ردود فعل أولية لم تكن في مصلحة الأمير عبد القادر حيث رأت فيها الكثير من القبائل إخلالا بذلك الاتفاق الذي بينه وبين التجاني كما أن هدم الحصن عمق الهوة بين الأمير عبد القادر والتجاني الذي استغل استعانة الأمير عبد القادر بالقوة الفرنسية في محاصرته لعين ماضي، ليشنوا عليه حملة دعائية لدى سلطان مراكش متهمين الأمير بالخيانة والتحالف مع ا الكافر ضد المسلمين مشككين في جهاده[2]. ويذكر أيضا سعد الله أبو القاسم: " أن فالي مد الأمير بمدفعين وبهما تم اقتحام المدينة[3]. إلا إلا أن يوسف مناصريه يقول : " ولولا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه بالمغرب لما تمكن من اقتحام الحصن[4]. والحقيقة هي أن الأمير انطلق بتسع مدافع، وأمده سلطان مراكش بمدفعين وبذخيرتهما، وفالي أيضا بمدفعين ليصبح المجموع 13 مدفعا ولا يمكن هنا ذكر طرف وإهمال طرف آخر.

[1] -E. Mangin, op. cit, P: 100.

[2]- نفسه ، ص101

[3]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 43.

[4]- محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 43.

لقد استغل الأمير فرصة بقائه في الحصن بعين ماضي للرد على الاشاعات المغرضة التي وجهت إليه فكتب رسالة مطولة لقبائل الصحراء وللسلطان وكذا لسلطات فرنسا نقتضب منها بعض الكلام إذ يستهلها: " الحمد له وصلى الله على من لا نبي بعده، وبعد، فان الله تعالى، منذ ولانا امر المسلمين، والنظر في مصالحهم، لم نزل نجتهد، ونسعى في تأليف قلوبهم، على الاتحاد والخضوع لشريعة سيدنا محمد لقوله عز وجل " ولتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " وقد توجهنا هذه المرة الى الاغواط لجمع كلمتهم، واصلاح فسادهم. فاظهر عامة اهلها غاية الطاعة والانقياد ، الا ما كان من التجاني ومن انتهى اليه تجاهروا بالشقاق، وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فأمرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين[1].

1- الدور الفرنسي في تغذية الصراع:

إذا كانت فرنسا قد انحازت لزاوية تماسين أثناء سوء التفاهم الذي وقع بين هذه الأخيرة وزاوية عين ماضي حول مسالة الوراثة والمداخيل، إلا أنها مع نهاية القرن التاسع عشر ، ومنذ أن : تزوج التجاني شيخ زاوية عين ماضي بالفرنسية أور يلي بيكار، بدأت فرنسا تعمل على تقوية زاوية عين ماضي وتهيئها لتلعب دورها. وازدادت هذه الرغبة مع تطلع فرنسا نحو احتلال المغرب الأقصى.

كما أن أحمد التجاني طالب السلطات الاستعمارية بإرسال ضباط فرنسيين إلى عين ماضي لحراستها مقابل تزويدها بكل المعلومات الخاصة بالصحراء والتي تساعد الفرنسيين على تسهيل مهمتهم من أجل التوسع في الجنوب الغربي الجزائري ومنه إلى المغرب، هذا مع العلم أن استعمال مشايخ الطريقة التجانية لنفوذهم لصالح السلطات الاستعمارية في الوقت الذي عمت فيه المقاومات الشعبية مناطق الحدود لم يقتصر على هذه الأخيرة بل تعداه إلى المناطق النائية من القارة الإفريقية. حيث وجه شيخ الطريقة التجانية الانتباه في

[1]- نفسه ، ص 45

المنطقة الجنوبية الغربية يخبرهم بقدوم الضباط الفرنسيون ويوصيهم بضرورة مساعدتهم لأن في ذلك خير للمنطقة. حيث أن سكان المنطقة سيجنون فوائد جمة من ذلك كربط علاقات تجارية تمكنهم من الحصول على بضائع ثمينة بأسعار منخفضة وأن كل من يقدم لهم الحماية ويسهل عليهم العملية سيجازى في الدنيا والآخرة. وأيضا تزويد القوات الاستعمارية بكل ما تحتاجه من معلومات عن الصحراء والحصول على مكاتيب من مشايخ الطرق الصوفية أو مصاحبة أحد ممثليها للمستكشفين الفرنسيين لتوفير الحماية لهم والأمان عند تنقلهم في الصحراء الجزائرية.[1]

2- انعكاسات هذا الصراع على التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية

من شهادات الفرنسيين على خدمات الطريقة التجانية للحملات الفرنسية في الجنوب الجزائري وجود مقدمي الطريقة التجانية ضمن تلك الحملات الذي أعطى في رأيهم صبغة شرعية لحملاتهم في المنطقة وكان له الأثر الأكبر على سكان الصحراء الجزائرية كما أعطى نفوذ الطريقة التجانية في تلك الجهات أمانا لرحلات هؤلاء المغامرين والمستكشفين في إتمام مهامهم كطلائع استعمارية.

توسط مشايخ الطريقة التجانية بين السلطات الاستعمارية وسكان تلك المناطق حيث اعتبرهم الفرنسيون أفضل أداة في هذا الشأن كل ذلك بهدف تسهيل مرور القوافل التجارية والاستكشافية ومساعدة فرنسا لإنجاز مشاريع السكك الحديدية والتي تعتبر كلها ممهدات لحملات شاملة لغزو المنطقة ولإلحاقها بفرنسا. كما كان للطريقة التجانية دورا كبيرا في إزالة تلك النظرة العدائية لسكان الصحراء لهؤلاء الغزاة الفرنسيون حيث سعى مشايخ ومقدمي الطريقة التجانية إلى إظهارهم على أنهم جاؤوا لتخليص سكان المنطقة من العزلة ولجلب الخير والمنفعة العامة ولخلق فرص جديدة للرزق وأنهم بذلك يستحقون التقدير والاحترام والسماح لقادة تلك الحملات من دخول زوايا الطريقة التجاني ومرافقتهم في ذلك رغم أن هذا

[1] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 45

الأمر محرم شرعا، وبذلك تكون لتلك المعاملة التي تلقاها الفرنسيون على يد شيوخ الطريقة التجانية أثار وقعا إيجابيا من شأنه أن يزيل تلك الحواجز والنظرة السلبية للأجنبي وهو الأمر الذي سعت إلى تحقيقه دوما القوات الفرنسية بغية تهيئة النفوس لتقبل الأمر الواقع[1].

من خلال كل هذه المعطيات يتبين أن الطريقة التجانية كانت حريصة كل الحرص على مساعدة الفرنسيين خدمة لمصالحها ، إذ أن الضابط الوحيد الذي كان يدفعها إلى هكذا تصرف هو المصلحة وضمانتها في رأي مشايخ تلك الطريقة هو الاستعمار الفرنسي حتى ولو كان ذلك على حساب المقاومة الشعبية التي كانت تعاني من هزات ولم يكن في مقدوره أن يضمن مصلحة هؤلاء الشيوخ أمام قوة تكبره وتفوقه في كل المجالات إذ أن تصرفات مشايخها يمكن تبريرها بالدوافع التالية:

يبدو أن ذلك الولاء والتواطؤ يجد مبرراته فيما تعرضت له الطريقة التجانية من إذلال أيام الأمير عبد القادر، ذلك أن هذا الأخير حاول وبكل ما في وسعه أن يجعل الطريقة التجانية إلى جانبه لما لها من قوة ونفوذ في المناطق الصحراوية لكنه فشل في هذه المهمة فأعلن الحرب عليها بعد حصار شديد ومن هنا استاء أتباع ومشايخ هذه الطريقة من هذا الإجراء العسكري واعتبروا ما قام به الأمير جرما لا يغتفر وعدوه ألد أعدائهم[2]. وكرد فعل على ذلك وقفت الطريقة التجانية إلى جانب القوات الاستعمارية بقيادة فالي وآزرتها ضد العدو المشترك ووضعت ثقلها في خدمة التوسع الفرنسي في الصحراء.

المصلحة الشخصية التي كثيرا ما تبدو المحدد الأساسي لمواقفهم من الوجود الاستعماري، حيث كان ينظر مشايخ تلك الطريقة للاستعمار أنه وسيلة لتوسع نفوذ الطريقة في هذه

[1]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص 156.
[2]- نفسه ، ص 157

المنطقة ومنه إلى الدول الإفريقية، فمن توات تستطيع الطريقة التجانية أن تبسط نفوذها باتجاه المحيط الاطلسي[1].

الزيادة في مداخيل الطريقة التجانية من الهدايا والأعطيات التي كانت تجنها الطريقة من أتباعها إذ في نظر أتباع الطريقة التجانية كلما زاد عدد الأتباع زادت معهم مداخيل الزاوية وبذلك باع هؤلاء الوطنية والدين بأغراض الدنيا.

لقد حاول قادة الطريقة التجانية في الجزائر أن يفرضوا فكرة القضاء والقدر لتبرير مواقفهم السياسية ليس فقط في الجزائر بل في كل البلاد التي شملها نشاط هذه الطريقة ومن ثم سعوا إلى تهيئة النفوس لتقبل فكرة الاستعمار ونجح بذلك ليون روش وبمساعدة أحمد الصغير التجاني بإصدار الفتوى في هذا الشأن.

كان الفرنسيون يعلمون أن الزاوية التجانية بفاس لا ترغب في التعامل معهم مما دفع بهم إلى الضغط عليها عن طريق الزاوية الأم في عين ماضي، فذهب سيدي محمود بن سي البشير سنة 1911م لنشر الدعاية في أوساط أتباع التجانية بالمغرب، وبعد توقيع معاهدة الحماية حاول الفرنسيون وعن طريق التجانيين والموالين لها في نفس الوقت كانت الزاوية الأم بعين ماضي تحاول أن تسترجع نفوذها، ولم تدخر أي جهد لمساعدة السلطة الفرنسية في الجنوب الكبير، حيث كان موقفها منحاز لفرنسا خلال حملاتها التوسعية عن طريق نشر الدعاية في وسط القبائل الثائرة وحثها على مسالمة الفرنسيين[2]..

ومن هنا يمكن ان نستنتج أن المواجهة بين الأمير عبد القادر والتجاني كانت واحدة من الأسباب التي ساهمت بطريقة أو بأخرى في اضعاف الأمير ومقاومته إذ ارتمت الطريقة في أحضان فرنسا وكانت بمثابة عينها التي ترى وأذنها التي تسمع ويدها التي تبطش بها كما تحالف التجانيون معا السلطة المغربية خلال فترة الحصار وكانت بذلك إحدى معاول الهدم

[1]- أبو القاسم سعد الله ،نفس المرجع السابق، ص 158
[2]- نفسه ، ص 160

للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر. إلا أننا في الأخير ورغم ما تعرضت له الطريقة التجانية من تناقضات في مواقفها إلى درجة اتهامها بالعمالة للاستعمار إلا أن هذه المواقف لم تشمل كل الأتباع والمقدمين ومن هنا لا يمكن تعميمها بدليل النجاح الكبير الذي حققته في السودان الغربي، كما لا ينكر أحد دورها البارز في نشر رسالة الاسلام والشواهد التاريخية كثيرة وليس هذا المجال لذكرها.

خـاتمة

خاتمة

– إن الجزائر كغيرها من شعوب العالم الإسلامي عايشت بتفاعل ظاهرة التصوف خلال القرن العاشر هجري ، و أسهم علماؤها في نشر مبادئها التي خلفت اثرا ايجابيا على لحمة تماسك و المجتمع ، وبفضل جهودهم انتشرت مختلف الطرق الصوفية عبر ربوع الوطن.

– أكدت الطرق الصوفية حضورها وتأثيرها الفعال في مختلف مجلات الحياة ونهضت بكثير الأعباء الاجتماعية الدينية، ومنها التعليم والتثقيف بنشر الأخلاق الفاضلة المسلمين ونشرا لإسلام ومواجهة الأخطار الأجنبية المحدقة ببلاد المسلمين.

– إن اغلب الطرق الصوفية رفعت راية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ووحدت كلمتها على مواجهته بمختلف السبل الممكنة ، ونجحت بعض الطرق الصوفية في تحقيق نتائج باهرة في هذا المجال كالرحمانية، السنوسية القادرية، الأمر الذي دفع الإدارة الاستعمارية إلى عدم الاستهانة بهذه المؤسسات الدينية فعملت على تدجينها و تشويه صورتها، وان كانت قد حققت بعض النجاح في محاولة التجنيد.

– غير أن الطرق الصوفية على اختلاف مواقفها، كان لها دور بارز في المقاومة الثقافية و محاربة الإدماج و المحافظة على قيم المجتمع و شخصية المسلمة، و ذلك عن طريق التعليم و التضامن الاجتماعي.

– إذا مهما قيل عن الطرق الصوفية والزوايا خاصة ، فقد لعبت دورا بارزا ومهما في الحفاظ على هوية الشعب وثقافته ، بغض النظر عن مدى تقدم وتطور تلك الثقافة ، ولكنها كانت حالة تميزوا اختلاف وتناقض تماما مع ثقافة الاستعمارية ، وما حمله هؤلاء الغرباء من مدينة وتقدم.

– لعبت الزوايا الصوفية المنضوية تحت التنظيمات الطرقية أدوارا في الحركة الثورية الجزائرية ، فان كل الثورات والانتفاضات الشعبية التي قام بها الشعب الجزائري جرت تحت لواء الإسلام وأسندت إلى الثقافة.

– كذلك يمكن القول أن الزوايا أدت دورا في مقاومة الاستعمار الفرنسي ومحاربته منذ ان حل بأرض الجزائر إلى أن طرد منها سنة 1962.

– كانت الطرق الصوفية هي المؤسسة الوحيدة التي بقيت متواجدة بعد انهيار المؤسسات الرسمية أمام الضربات الاستعمار.

– حافظت الطرق الصوفية وخاصة منها الطريقة الرحمانية خلال العهد الاستعماري على الهوية الوطنية من خلال مواجهتها للعدو الأجنبي.

– أدركت فرنسا الدور الخطير الذي كانت تؤديه الزوايا من اجل الفضاء على الوجود الفرنسي، لذلك لم تتوان عن مضايقتها ومصادرة أملاكها ومراقبتها عن كثب.

من ذلك عملت على البحث عن نقاط ضعفها محاولة لتدجينها خدمة وتمديدا لمخططاتها الاستعمارية ، حتى وان نجحت في ترويض البعض منها إلا أن الزوايا لم تتخلى عن أداء واجبها الوطني.

– استمرت الزوايا في دورها الجهادي من تجنييد للمجاهدين في جميع الثروات المتلاحقة و خاصة ثورة التحريرية الى غاية استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962.

– لا يمكن إغفال دور الزوايا والطرق الصوفية وتقليصه تحت غطاء الصراع الذي كان قائما بينها وبين رؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الملاحق

الملحق رقم 01 خريطة انتشار الزوايا التجانية

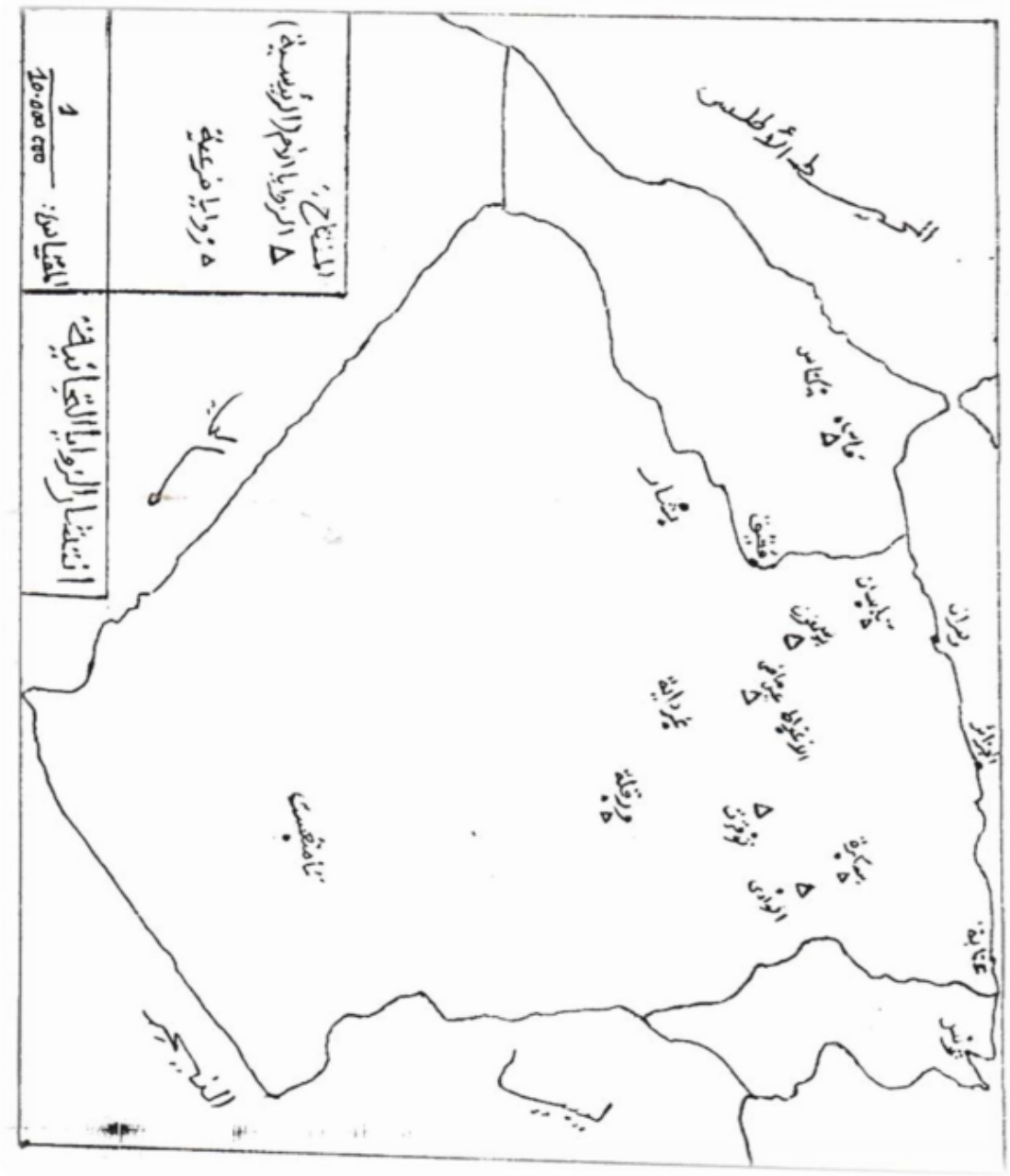

المصدر:بن يوسف التلمساني :الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر –الحكم العثماني والامير عبد القادر الادارة الاستعمارية ،مذكرة مقدمة لنيل شهادةالماجستيرالتاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر ،1997–1988،ص 123

الملحق رقم 02 **مخطط يوضح شجرة الطريقة الرحمانية**

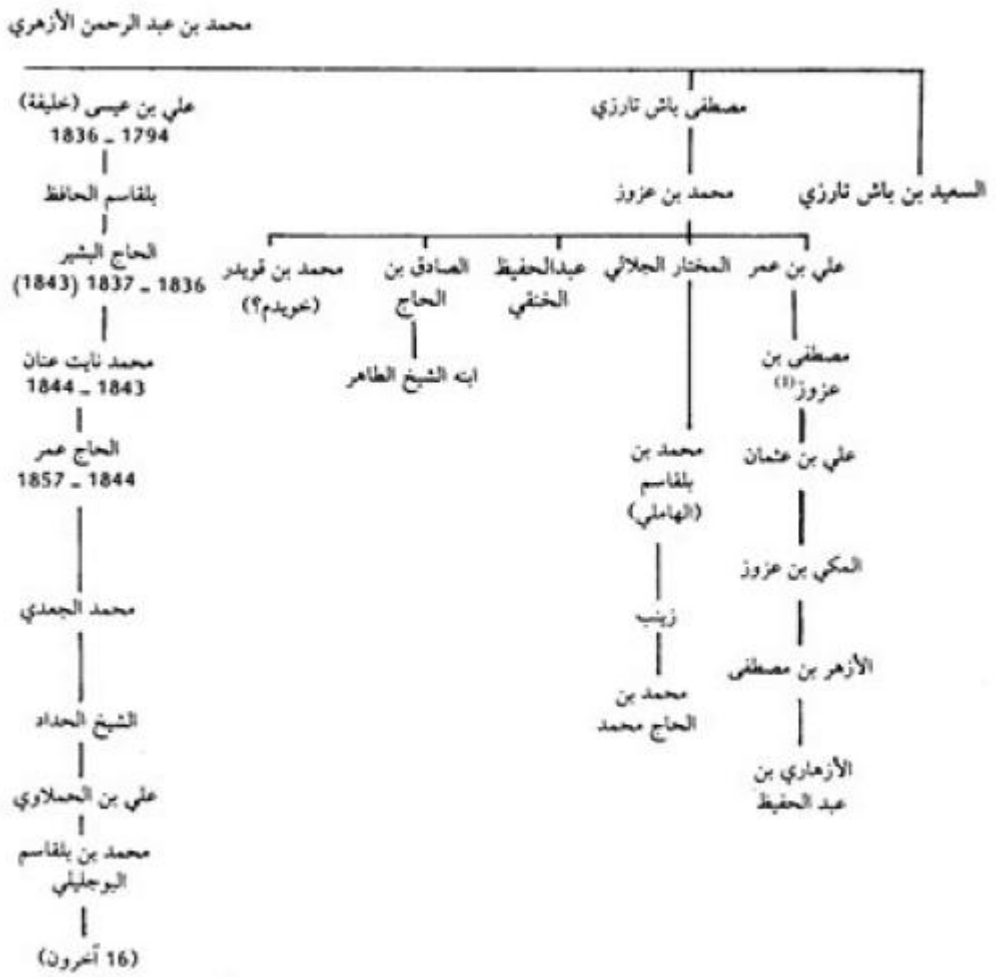

المصدر : أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ، ج4، المرجع السابق، ص188.

الملحق رقم 03 صورة توضح أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية

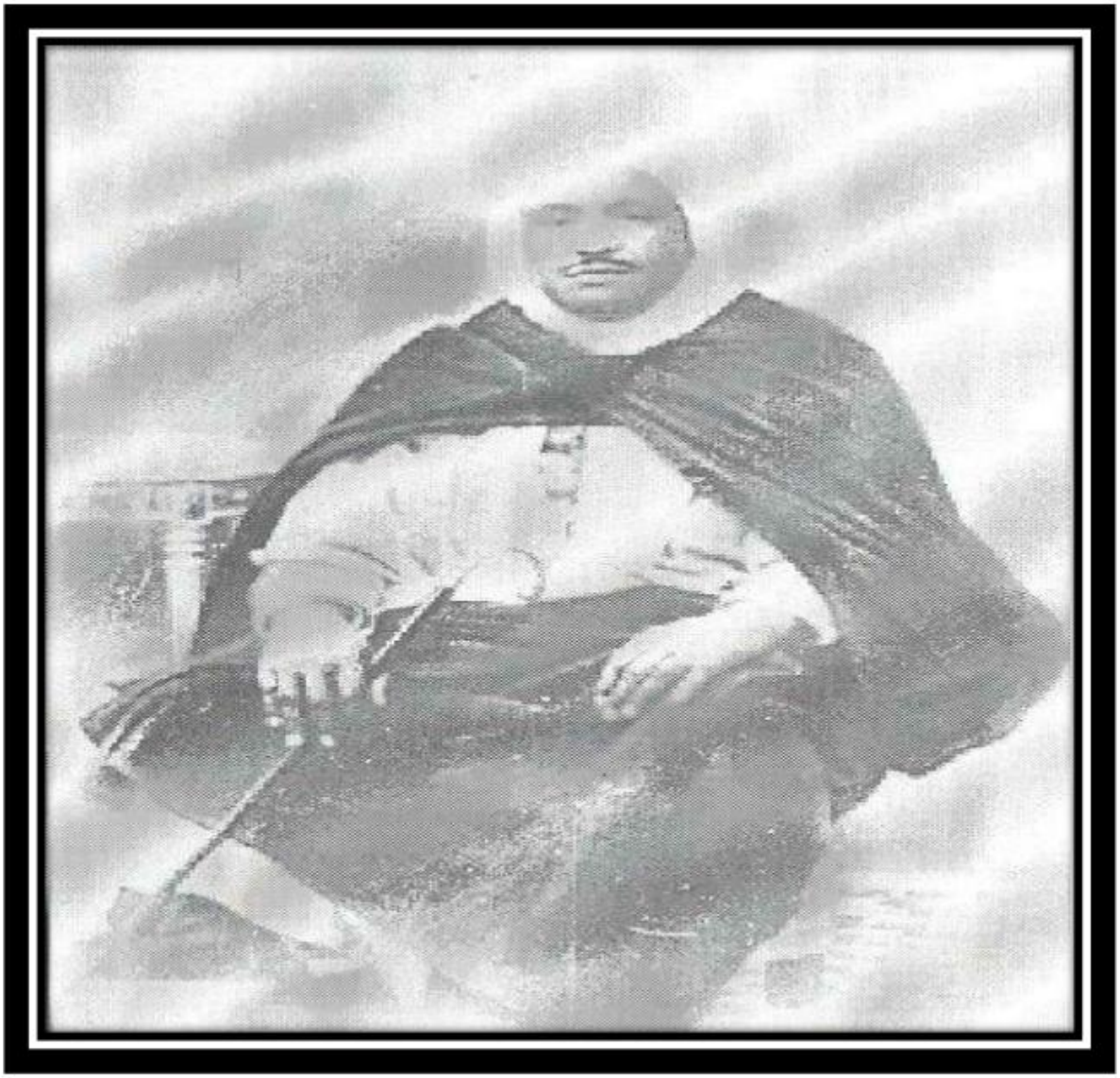

المصدر :بن يوسف التلمساني :الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر الحكم العثمانيوالامير عبد القادر الادارة الاستعمارية ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر ،1997-1988ص232

الملحق رقم 04 محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية

محمد بن علي السنوسي، مؤسس الطريقة السنوسية

المصدر :

قائمة المصادر و المراجع

اولا : الكتب

1. أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1992
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (ق 16- ق20م)، ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.
3. أبو بكر محمد الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح محمد أمين السوادي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1980
4. أحمد الشريف الدرقاوي،" شور الطوية في مذهب الصوفية"، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ،رقم 96جك/1، 3 بن العربي
5. إدريس رائسي: القبائل الحدودية التونسية – الجزائرية بين الإجارة والإغارة 1830 – 1881، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2016
6. الأرشيف الوطني التونسي السلسلة التاريخية، صندوق : 212، الوثيقة رقم: 34، 38.
7. اندري ديرليك تر مازن بن صلاح مطبقاني ، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية ، عالم الأفكار ، الجزائر ، 2013
8. ترواملي، الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، تر : محمد المعراجي، دار غرناطة، الجزائر، د.ط، 2013
9. التيجاني الصادق، الشيخ سيدي محمد الخليفة الثالث للامام التماسيني، منشورات الزاوية التيجانية الجزائر : 2008
10. حلمي إسماعيل محروس، تاريخ العربي الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.

11. خيرالدين شترة ، قضايا التصوف ومظاهر الصوفية ، ج2 ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015

12. رابح تركي ، الطرق الصوفية والتصوف في الإسلام وتحديات المعاصرة ، الملتقى الدولي الحادي عشر ، جامعة الوادي ، ادرار ، 2008

13. الزاوية التيجانية بين الأمس واليوم، منشورات الزاوية التيجانية تماسين ،ط3 ، مطبعة كونين، الوادي: 2008

14. الصادق التيجاني، الشيخ سيدي محمد حمه الخليفة الرابع للامام التماسيني، منشورات الزاوية التيجانية، الجزائر: 2008

15. الصادق التيجاني، الشيخ محمد بشير الأول ، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الجزائر : 2008

16. صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم، الجزائر، د.ط، د.س

17. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، ج 1، ط 1، دار البصائر، 2002

18. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1971

19. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الثقافة ،بيروت 1982، ص 89.

20. جزائر العام ، ج 3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995

21. عبد القادر مداح، التواصل الصوفي بين الطرق الصوفية في المغرب الاقصي وغرب الجزائر 1518-1830، الطريقة الهبرية أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي لياس ، سيدي بلعباس 2016-2017، ص 84

22. عبد القادر موهوبي السائحي الإدريسي، ، معجم الصفوة ، ج 1 ، تين للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د.س)

23. عبد الوهاب شلالي، محاضرات في البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في العهد العثماني، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، السنة الجامعية 2007-2008.

24. عثمان سعدي الجزائر في التاريخ، دار الأمة الجزائر، د.ط، 2013

25. علالي محمود ، الحركة الإصلاحية في الاغواط ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2008

26. علي ، زاوية طرائجة باب الخضراء تونس، سلسلة زوايا الطريقة التيجانية الزاوية التيجانية بتماسين، 2009

27. علي بن محمد غريسي، أئمة زاوية تماسين، ط 1 ، مطبعة كونين، الوادي: 2013

28. فتح الله بن الشيخ أبي بكر البناني ، إتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل الله، ط 1 ، المطبعة العامرة الشرقية، 1324هـ، (د - م)

29. الفرد بيل،الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمان بدوي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981

30. قوراري أخميسي، تراجم أبناء سيدي ،الحاج علي التماسيني، منشورات الزاوية التيجانية بتماسين، الجزائر :2004

31. كحول عباس ، دور الزواية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالتراب الشرقي 1849-1859 ، رسالة مقدمة لنيل رسالة الماجستير في التاريخ المعاصر ، تخصص المقاومة الوطنية و الثورة التحريرية ، 2010-2011 ، جامعة الجزائر .

32. كمال بيرم ، أعلام ومعالم من مدينة المسيلة نظرة في التاريخ الثقافي خلال الاحتلال الفرنسي ، دار الإرشاد للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013.

33. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر(د.ت)

34. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر(د.ت)

35. المبشر ورود الأخبار من جميع الأقطار، ع: 146، 03 أكتوبر 1853

36. محمد الطيب سالت مدينة الجلفة من التأسيس الإداري إلى الاستقلال الوطني 1861/1962 ، دار ،ومضة1 الجزائر، الطبعة الأولى، 2021، ص: .107

37. محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1930)، دار السبيل، الجزائر، د.ط، 2008

38. محمد النذير التماسيني التيجاني، أعراف الطريقة التيجانية وعاداتها، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين، بعين ماضي، الأغواط، نوفمبر 2006

39. محمد بن محمد المهدي التمسماني، الإمام مولاي العربي الدرقاوي، شيخ الطريقة الدرقاوية الشلذلية ترجمته وبعض آثاره، ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 2008

40. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، دار الشرق، بيروت(د.ت)

41. محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، دار الشرق، بيروت(د.ت)

42. يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر العرب، ج1، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر 2004

43. يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية الجزائر، د.ط، 2007

ثانيا : المجلات

44. بن عتو بليروات الاحتلال الفرنسي للأغواط وضواحيها سنة 1852م وجرائمه مجلة العصور الجديدة، العدد 06، 1433هـ – 2012م

45. بوكسية محمود ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية مواجهة الزوايا الرحمانية للسياسة الاستعمارية وأشكالها(1830– 1954)، العدد 8 ، جانفي ،2015، المسيلة

46. خير الدين شترة ، الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية – 1830 مطلع القرن العشرين ، الطريقة الشيخية أنموذجا مجلة الحقيقة ، العدد 18 جامعة إدرار ، دس

47. سعود دحدي ، ثورة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحدي الاستعماري الفرنسي (1842– 1895)، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، جوان 2010

48. كمال بيرم: كتابات الضباط الفرنسيين حول الجلفة والصحاري، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع: 10، منشورات جامعة الجلفة، 2014

ثالثا : المذكرات و الرسائل الجامعية

49. بوغديري كمال ، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التجانية انموذجا ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا ، في علم الاجتماع ، جامعة سطيف ، 2014، 2015.

50. محمد حناي، الحياة الثقافية في زواية تماسين التيجانية 1803–1954م ، مذكرة ماجيستر غير منشورة، جامعة الوادي، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر ، الوادي: 2014

رابعا : المراجع الاجنبية

52. E. Mangin, Notes sur l'histoire de l'Aghouat in RA, N°38, 1894, P: 98.

53. François DE VILLARET: Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa, T: 2, center de documentation Saharienne, Ghardia, 1995, p: 125.

54 . Mangin, Notes sur l'histoire de l'Aghouat in RA, N°38, 1894,P: 100.

55. Mangin, Notes sur l'Histoire de Laghouat, Revue Africaine, volume 39, 1895, P : 35.

55. Octave Depont , Xavier Coppolani, référence antécédent, p 385.

Octave Depont , Xavier Coppolani, référence antécédent, p p 56. 382 383.

الفهرس

الفهرس:

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الطرق الصوفية في الجزائر	
المبحث الأول: مفهوم الطريقة الصوفية	06
المبحث الثاني : جغرافيا ولاية الجلفة و الاغواط و عروشها	15
المطلب الأول : لمحة عن جغرافيا ولاية الجلفة و أهم عروشها	15
الفرع الأول : جغرافيا ولاية الجلفة	15
الفرع الثاني : عروش منطقة الجلفة	17
المطلب الثاني : لمحة عن جغرافي الاغواط و اهم عروشها	18
الفرع الأول: جغرافي الاغواط	18
الفرع الثاني : عروش ولاية الاغواط	19
المبحث الثالث : علاقة سكان الجلة و الاغواط بالطرق الصوفية	20
المطلب الأول : ولاية الجلفة الطرق الصوفي	20
المطلب الثاني : علاقة سكان منطقة الاغواط بالطرق الصوفية	22
الفصل الثاني: الطرق الصوفية وزواياها	
المبحث الأول : الطريقة الرحمانية	27
المطلب الأول : مؤسسها	27
المطلب الثاني: التعريف بالطريقة الرحمانية	28
المطلب الثالث : زوايا الطريقة الرحمانية	30
المبحث الثاني : الطريقة الدرقاوية و أهم زواياها	38
المطلب الأول : التعريف بالطريقة الدرقاوية	38
المطلب الثاني : المبادئ والتعاليم والشعارات.	40

المطلب الثالث : الزوايا الدرقاوية	43
المبحث الثالث : الطريقة التجانية و السنوسية	46
المطلب الأول : الطريقة السنوسية	46
المطلب الثاني : التعريف بالطريق التجانية	49
الفصل الثالث : مواقف الطرق الصوفية	
المبحث الأول : موقف الطريقة الرحمانية	58
المطلب الاول : مقاومة التلي بالكحل مع الامير	58
المطلب الثاني : انتفاضة بوشندوقة	63
المبحث الثاني : موقف الطرقة الدرقاوية	72
المطلب الأول : موسى بن الحسن المدني الدرقاوي	72
المطلب الثاني : موسى الدرقاوي في الأغواط مُضايقا من التيجانيين	73
المطلب الثالث : في بلاد أولاد نايل زعيما دينيا وقائدا عسكريا	75
المبحث الثالث : موقف الطريقة التجانية و السنوسية	83
المطلب الأولى : موقف السنوسية	83
المطلب الثاني : موقف الطريقة التجانية	90
خاتمة	96
الملاحق	99
قائمة المصادر و المراجع	104
الفهرس	111

الملخص

في الجزائر تعددت الطرق الصوفية الفاعلة خلال القرن 19 واشتهرت كل طريقة بشيخ أو خليفة وكابت كثيرة الأتباع والأوقاف والمال بعضها هادن الاستعمار منذ البداية وبعضها أعلن المقاومة والجهاد في سبيل الله والوطن كمقاومة الأمير عبد القادر.

إن اغلب الطرق الصوفية رفعت راية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ووحدت كلمتها على مواجهته بمختلف السبل الممكنة ، ونجحت بعض الطرق الصوفية في تحقيق نتائج باهرة في هذا المجال كالرحمانية، السنوسية القادرية، الأمر الذي دفع الإدارة الاستعمارية إلى عدم الاستهانة بهذه المؤسسات الدينية فعملت على تدجينها و تشويه صورتها، وان كانت قد حققت بعض النجاح في محاولة التجنيد.

الكلمات المفتاحية

الطرق الصوفية – التوسع الاستعماري – الجلفة – الأغواط

Résumé

En Algérie, il y avait de nombreux ordres soufis actifs au cours du XIXe siècle, et chaque ordre était célèbre pour son cheikh ou son calife et comptait de nombreux adeptes, dotations et argent. Certains d'entre eux étaient en trêve avec le colonialisme dès le début, et certains d'entre eux l'avaient déclaré. la résistance et le jihad pour le bien de Dieu et de la patrie, comme la résistance .de l'émir Abdelkader

La plupart des ordres soufis ont brandi l'étendard du jihad contre l'occupation française et ont uni leur parole pour y faire face de diverses manières.

Certains ordres soufis ont réussi à obtenir des résultats remarquables dans ce domaine, comme les Rahmaniyah, Sanusiyya et Qadiriyya, qui ont incité à la création du jihad. L'administration coloniale ne sous-estima pas ces institutions religieuses et s'efforça de les domestiquer et de les déformer, même si elle .réussit quelque peu à les recruter

les mots clés

Ordres soufis – expansion coloniale – Djelfa – Laghouat

Summary

In Algeria, there were many active Sufi orders during the 19th century, and each order was famous for a sheikh or caliph and had many followers, endowments, and money. Some of them were truce to colonialism from the beginning, and some of them declared resistance and jihad for the sake of God and the homeland, such as the resistance of Emir Abdelkader.

Most of the Sufi orders raised the banner of jihad against the French occupation and united their word to confront it in various possible ways. Some Sufi orders succeeded in achieving remarkable results in this field, such as the Rahmaniyah, Sanusiyya and Qadiriyya, which prompted the colonial administration not to underestimate these religious institutions and worked to domesticate and distort them. Her photo, although she had some success in trying to recruit.

key words

Sufi orders – colonial expansion – Djelfa – Laghouat